الباب الثالث

تلخيص حضارة المغرب الإسلامي

فصلان

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى عشر

الحضارة الفكرية والثقافية

1- تمهيد
2- بنو مدرار / حاضرتهم سجلماسة
3- بنو رستم / حاضرتهم تاهرت
4- الأدراسة / حاضرتهم فاس
5- الأغالبة / حاضرتهم القيروان
6- الفاطميون / حاضرتهم المهدية
7- المرابطون / حاضرتهم مراكش
8- الموحدون / حاضرتهم مراكش وأشبيلية
9- بنو مرين / حاضرتهم مراكش وفاس

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني عشر

الحضارة الفكرية والثقافية

تمهيد:

استغرق حكم إمارات المغرب ودوله أكثر من ثمانية قرون إبتداءاً من إمارة بنى مدرار وإنتهاءاً بالإمارات المحلية وخلال هذه الفترة تركت هذه الكيانات تأثيراتها في الحياة الفكرية والعلمية والثقافية والإجتماعيه، حيث شيدت المدن الحواضر التى أصبحت مراكز علمية يفد أليها العلماء وطلبة العلم من سائر أنحاء المغرب والمشرق على السواء، ولعل أهم أثر تركته هو سعيها في نشر الإسلام بين الجماعات والقبائل المختلفة سواء في بلاد المغرب أو المناطق الواقعة جنوبى الصحراء، فتقبلت منهاجة ومسرفه ولمتونة الأفكار الإسلامية كما عقدت حلقات الدرس لتدريس العلوم الإسلامية والعلوم العقلية وأقيمت المناظرات بين العلماء والفقهاء في مختلف المسائل الفقهية والشرعية ووجدت مهنة تعليم الصبيان وتأديبهم وهى بمثابة ما تقوم به المدارس في الوقت الحاضر

لقد ظهرت الحركات الفكرية وهى تمتلك تراثا غنياً تمثل في مجموعة الأراء والمقولات والإستنباطات في تفسير النصوص الدينية على نطاق الشريعة والسياسة والفلسفة وفنون الحكم وكان أغلب مؤسسي هذه الحركات من حملة العلم والفقه فوضعوا أساسا للحياة الفكرية لإماراتهم ودولهم ورعاياهم فتبنوا العلماء وأخذوا بأيديهم ونشروا العلوم وشجعوا الناس على طلب العلم وأنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والمراكز والمدارس التى كان يختلف إليها العلماء لتدريس أصول الدين والشريعة وعلوم الرياضيات والطب والكمياء وغيرها

ولعل من المفيد أن نستعرض الجهود الحضارية الفكرية التى مهرتها الإمارات والدول في المغرب الإسلامى وما خلفته من معالم وصروح علميه لعبت دوراً كبيراً في ظهور العلماء والفقهاء والفلاسفة وأصحاب الفكر الذين سجلوا سمار أفكارهم في مصنفات وكتب ورسائل فاحتلوا منزلتهم العلمية في العالم الإسلامى وأعترف لهم زملائهم العلماء والفقهاء المشارقة بما وصلوا إليه في العلوم والفنون والآداب وجميع صنوف المعرفة:

(1)

بنو مدرار / حاضرتهم سجلماسة

عرف عهد بنو مدرار" حب العلم والرغبة في طلبه وتحصيله[1] " وأن أهل سجلماسة كانوا يجلون العلم ويطلوبنه وهم يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر مع علم [2] "، وهناك ما يشير إلى إهتمام المدرارين في عقد حلقات الدرس في العلوم الإسلامية وكذلك مناظرة مخالفيهم ومجادلتهم في العلوم الدينية وعلوم العربية والعلوم العقلية، وكان لأتباع المدرارين من العلماء والمتعلمين في مدينة القيروان الذين كانوا يبدون نشاطا في العلم والفقه والفلسفة [3].

ولكن المؤسف أننا لا نمتلك معلومات وفيرة ومفصلة عن مساهمات المدرارين في الحركة الثقافية والعلمية إذا قورنت بما نعرفه عن غيرهم في المغرب الإسلامى ولعل السبب على أكثر الإحتمال أنه لم يتبقى من أثارهم الفكرية ما يجعلنا نأتى بكثير من التفصيلات والمعلومات المهمة فيما عدا الإشارات التى تعرضنا إليها، وربما كانت أثارهم عرضة للتلف والإهمال، كما لا يوجد من المؤرخين والكتاب المعاصرين لهم ما يمكنا أن نجد عندهم أخبار سجلماسة وبنى مدرار واهتماماتهم بالحركة الفكرية والعلوم، أو أن عداوى الأيام قد أتلفت مؤلفات من اهتم بتواريخهم وتصانيفهم أو عفت عليها يد الحدثان بقصد أو بدون قصد غير أن الموجود من شتات المعلومات عنهم بهذا الصدد يمكن أن يلقى بعض الضوء على نشاطهم ودورهم في الحياة الفكرية، ليس فقط في داخل مدينة سجلماسة وإنما في مدن المغرب الأخرى حيث يتوزع بعض علماء المدرارين ومناصروهم في إمارات الأغالبة والرستميين والأدارسة.

---

[1] إسماعيل حامد، نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص 7.

[2] إبن حوقل، صورة الأرض ص 90 .

[3] الماليكى، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ج / ص 276 ، الدباغ ، معلم الإيمان في معرفة أهل القيروان ج ، ص55 .

obeikandl.com

(2)

بنو رستم / حاضرتهم تاهرت

كان مؤسس إمارتهم عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وهو أحد ما يعرف بحملة العلم الخمسة، الذين هم عاصم السدراتى من غرب الأوراس وأبو داود القبلى النفزاوى من إفريقية وإسماعيل بن ضرار الغداسى من جنوبى طرابلس وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى من اليمن وكانوا قد تلقوا العلوم الدينية في العراق وفي مدينة البصرة على يد أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة وهو من أبرز العلماء في هذه الفترة. وكان عبد الرحمن بن رستم قضا خمس سنوات يتلقى علومه هناك فأصبح بارعاً في علوم الدين واللغة والفلك[1]، وأكسبه ذلك مهارة في وضع أساس للحياة الفكرية لإمارته ورعيته بتوسيع الحركة العلمية والثقافية بتشجيع العلماء ونشر العلوم حتى أصبحت تاهرت مركزا علميا مرموقا في جميع أنحاء العالم الإسلامى حيث ضمت المساجد والمراكز والمدارس

وإلى جانب طاهرت، ظهرت مدينة شروس في منطقة جبل نفوسه ومدينة جادوا وقرية إجنادن وجزيرة جربة ومنطقة ورجلان، مراكز للعلم والثقافة حيث كانت تجلب إليها الكتب والمصنفات والرسائل من العراق ومصر وبلاد الشام والحجاز، كما كان يؤمها عدد غير قليل من العلماء وطلبة العلم ومريديه ليتعلموا ويتفقهوا على يد علماء تاهرت وفقهائها من أمثال ابن أبى إدريس وأحمد التيه وأبى العباس بن فتحون وعثمان بن الصفار وأحمد بن منصور وأبى عبيدة الأعرج [2]، ولكن العالم الشيخ مهدى النفوسي الذى قتله الأغالبة فيما كان يرافق جيش الرستميين الذى حاصر مدينة طرابلس فى عهد عبد الوهاب عبد الرحمن بن

---

[1] أبو زكريا، السيرة وأخبار الأئمة، الورقة 42.

[2] محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج3 ص392 .

obeikandl.com

رستم، ومحمد بن يانس وأبو الحسن الأبدلاتى وعمروسى بن فتح ويعقوب بن أفلح وغيرهم، كانوا يمثلون القمة فى العلوم الدينية وعلوم العربية والفلك[1].

لقد كانت العربية الرستمية لإمارة الرستميين وهى لغة التأليف لهؤلاء العلماء والفقهاء، فالكتب والمصنفات التى كانوا يتداولونها كانت باللغة العربية وإن الرستميين كانوا يقدسونها ويحاولون نشرها بين أهل المدن، فكان الناس يتنافسون فى تعلمها وإتقانها ويعكفون على دراسة نحوها وقواعدها [2] كما نلمس هناك حركة دائبة لترجمة الكتب اليونانية والهندية والرومية والفارسية إلى العربية يشجعها ويدعمها عبد الوهاب بعد أن خلف أباه فى الحكم الذى هو نفسه محباً للعلم وفقيهاً، صنف كتاب" نوازل نفوسه " وهى مجموعة من الفتاوى الشرعية، كما كان أفلح بن عبد الوهاب عالماً فى الحساب والفلك وشاعراً[3]

ومن المعالم الحضارية العلمية للرستميين (مكتبة المعصومة) التي أسسها عبد الوهاب بن عبدالرحمن في قصبة المعصومة في مدينة تاهرت، وكانت تضم أمهات الكتب والمصنفات الدينية والفنّية وكتب الصنائع وكان يربو عددها على الثلاثمائة ألف مجلد [4] ويشير الوسياني إلى أن البصريين في العراق استنسخوا معظم كتب المشارقة وأودعوها في هذه المكتبة، فأقبل المغاربة على دراستها [5] ولكن الدرجيني يذكر إن مكتبة المعصومة خاصة بالبيت الرستمي الذي وصفه بأنه

---

[1] وممن نبغن من النساء فى مدينة تاهرت، أخت أفلح بن عبد الوهاب التى لم تذكر المصادر شيئا عنها سوى أنها برعت فى علم الحساب والفلك والتنجيم(د.السيد عبد العزيز،المغرب الكبير ج2 ص575 .

[2] محمد على دبوز، المصدر نفسه ص410.

[3] ومن شعره يمجد العلم وأهله:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا ... يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حي وإن مات ذو علم وذو ورع ... ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

وذو حياة على جهل ومنقصة ... كميت قد ثوى فى الرمس إعصارا

د.السيد عبدالعزيز، المصدر نفسه ص584 .

[4] أبو زكريا، السيرة وأخبار الأئمة، الورقة 42

[5] سيرة ابي الربيع بن عبد السلام، الورقة 779

"بيت العلوم جامعاً بفنونها من علوم التفسير والحديث وعلم اللسان وعلم النجوم والأصول والفروع والفرائض" [1] والى جانب مكتبة المعصومة هناك مكتبات في المدن الرستمية تحتفظ بالكتب والتصانيف، وهي مكتبات عامة يؤمها الناس من مختلف الفئات والطبقات.

ولعل من أبرز مظاهر الحياة الفكرية التي عرفتها تاهرت في هذه الفترة، المناظرات العامة التي كان يدعى إليها سكان المدينة وكانت تجرى على نهر مينه وأصبح لها صدى واسعاً في العالم الإسلامي وقد تناظر فيها شيوخ الاباضية من الرستميين وعلمائها مع علماء المعتزلة ومجتهديهم وتناولت موضوعات في الفقه والشريعة وفي العلوم العقلية والنقلية [2] .

والظاهر أن الفاطميين كانوا مقتنعين بالمنزلة العلمية التي كان يتمتع بها الرستميون ويدل على ذلك استحواذهم على مكتبة المعصومة والمكتبات الأخرى وتجريدها من محتوياتها، ولكن لا صحة لما ذكر عن إجراءات الفاطميين بحرقها بعد أن حصلوا منها على الكتب النفسية في الرياضيات والطب والفلاحة والهندسة والفلك بل نقلوا كتبها ومصنفاتها جميعاً إلى بلادهم بدون استثناء[3].

---

[1] طبقات الاباضية ج 1 ص 136

[2] د. الحبيب الجنحاني، المصدر الساق ص 141

[3] د. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ص 345 – 346

obeikandl.com

(3)

الأدارسة / حاضرتهم فاس

ترك الأدراسة أثراً واضحاً في الحياة الثقافية، ليس في المغرب الأقصى، فحسب بل في جميع أنحاء المغرب الإسلامي، فقد قاموا بدور ملموس في نشر الإسلام وتبنى الحركة الإسلامية، فلم يمضي وقت طويل على قيام إمارتهم حتى برزت مدينة فاس وأصبحت مركزاً من المراكز الثقافية والفكرية يشد إليه العلماء والمفكرون وطلبة المعرفة، الرجال من جميع العالم الإسلامي، وكان المسجد الجامع المعروف بـ"الشرفاء " أو "الأشراف" الذي أسسه إدريس بن إدريس سنة 192 هـ بداية لإقامة جامع القرويين الذي اكتسب بدوره صبغة علمية وجامعية عالمية [1].

لقد تلقت مدينة فاس في عصر الادارسة، تأثيرات علمية وفكرية وثقافية وحضارية مادية مزدوجة من بلاد الأندلس ومن القيروان، فالمدينة كانت تتألف من عدوتين واحدة للأندلسيين وأخرى للقيروانيين، وكان أهل كل من هاتين العدوتين، فقلوا كثيراً من تراثهم العلمي والمعرفي إلى مستقرهم في فاس ولا تخفى الأهمية التاريخية لكل من القيروان وقرطبة عاصمة بلاد الأندلس وبخاصة من الناحية العلمية والحضارية، فهما مركزان بارزان في سعة العلم والثقافة وإن " الوافدين من الأندلس، نزلوا بعدوة الأندلس والوافدين من القيروان سكنوا بعدوة القرويين، فغمرت العدوتان بالسكان بفضل هؤلاء الوافدين وتمدينت بهم " [2].

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ق 3 ص 118 هامش رقم 2

[2] د. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ج 2 ص 496 (نقلا عن مؤرخ غرناطي مجهول من القرن الثامن الهجري [وهي مجموعة متفرقات تاريخية] تسمى الزهرة المنثورة في الأخبار المأثورة.

obeikan.com

(4)

الأغالبة / حاضرتهم القيروان

يتجلى أثر الغالبة الثقافي والعلمي طوال مدة حكمهم لأفريقية وصقلية الذي استغرق أكثر من القرن، فيا تركوا من بصمات واضحة في الحركة الثقافية والفكرية، فليس جديداً على هذه الأسرة المستنيرة، أن تنهض بنشر مبادئ الحضارة أو أن تضع لها مفاهيم صحيحة. إن مؤسس إمارة الأغالبة إبراهيم بن الأغلب بن سالم التيمي هو نفسه كان " فقيهاً وأديباً وشارعاً وخطيباً ذا رأي ونجدة وبأس وحزم، وكان حافظاً للقرآن عالماً به " [1] كما كان ابنه زيادة الله 201 /23 هـ أكثر أهل بيته أدباً وأفصحهم لساناً وأوسعهم فهماً ومعرفة، حيث اختار له أبوه " علماء العربية ورواة الشعر ليقوموا على تعليمه " [2] أما أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد 289 – 290 هـ فقد " جالس أهل العلم وشاورهم " [3].

غير أن أكبر مأثرة تركها الأغالبة في تاريخ الحضارة العربية والفكر الإسلامي هو فتحهم لجزيرة صقلية في عهد زيادة الله بن إبراهيم، بقيادة الفقيه القاضي أسد بن الفرات [4] فقد خرج معه أشراف أفريقية وفقهاؤها وعلماؤها من العرب والجند الأندلسيين وأهل العلم والبصائر " [5].

وتتبدى أهمية صقلية من الناحية العلمية، إنها أصبحت مركزاً للحضارة والعلم ومصدراً لإشعاعات الثقافة الإسلامية، واحتلت شهرة واسعة في هذا المجال في العلم الإسلامي وذلك طوال الحكم العربي فيها وبعده بقرون عدة حيث أنجبت جمهرة من العلماء والفقهاء والشعراء، ذاع صيتهم وانتشر أثرهم.

---

[1] ابن عذارى، البيان ج1 ص 92 – 93

[2] ابن الخطيب، أعمال ص 16 – 17

[3] ابن عذارى. م. ن ص 123

[4] وهو "مصنف الأسدية " في الفقه المالكي، وكان قاضيا للقيروان

[5] ابن عذارى م. ن. ص 103

Open Arabic.com

ومن المفيد القول، أن عهد الأغالبة كان يتسم بإتاحة الحرية الفكرية والثقافية وانتحال البحث في المسائل المذهبية وقيام المساجلات والمناظرات والمجادلات حول مسائل العلم والفقه والأدب بين الفرق الإسلامية، فيشير ابن أبي دينار إلى أن أبا سعيد كنون الملقب "سراج القيروان" لعلو منزلته في الفقه والعلم الذي أستقضي على مدينة القيروان "منع أهل الأهواء من المسجد الجامع وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويتظاهرون بمذاهبهم مثل الإباضية والصفرية والمعتزلة، منعهم من الاجتماع " [1] ويبدو أن هؤلاء كانوا يشكلون تظاهرة علمية وفكرية في المناظرة والطرح والمحاجاة في المسائل الجدلية المتعلقة بالعقائد والشرائع والعلوم الدينية والعقلية، ومن المحتمل أن تنافسهم وتصارع آرائهم بحرية واسعة نجم عنه ظهور مواقف سياسية لهذه الطوائف والجاليات، وليس أدل على ذلك من أن يقرر قاضي القيروان منعهم من الاجتماع وتبديد حلقاتهم كما منعهم من مزاولة مهنة تعليم الصبيان وتأديبهم [2].

والحق إن القيروان خلال حكم الأغالبة أضحت من كبريات مدن العلم والثقافة ليس في المغرب، بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد استقطبت إليها العلماء والفقهاء والمدرسين، كما كان يفد إليها طلبة العلم من بغداد ودمشق ومصر ومن حواضر المغرب من تاهرت وكلماسة وفاس وقرطبة للتفقه والدرس والمناظرة على شيوخ الفقهاء وأصحاب الفرق، فيذكر النفوّس قيام بكر بن حمّاد التاهرتي بمجالسة علماء القيروان ومناظراتهم في أمور الدين والمذهب " [3] .

أما تونس، فقد لعبت هي الأخرى دوراً كبيراً في ازدهار العلم والفقه والأدب وتركت أثرها الفكري في افريقية وبلاد المغرب، وقد وصفها البكري بقوله: " أنها دار علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة "[4]ولعل هؤلاء الذين يشير

---

[1] المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ص 50

[2] د. محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي ص 99

[3] الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ج 2 ص 71

[4] المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص 40

إليهم البكـــري هم النخبة التي كانت تتولى مناصـــب لقضـــاء فـــي جميـــع افريقيـــة والمغـــرب.

والظاهر أن الأغالبة كانوا يتشبهون بالعباسيين وخصوصاً فيما يتعلق بإيجـــاد المؤسسات العامة الثقافية منها والدينية فقد أسسوا مكتبة " بيت الحكمـــة " التـــي أشرف على قيامها وتجهيزها الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ســـنة 290 هـــ وضمت مختلف الكتب والمجلدات والرسائل والتصـــانيف جلبـــت مـــن بغـــداد والأندلس وقد أصبحت فيما بعد تشبه إلى حد كبير ما كان سائداً في بغداد في عهد الخليفة العباسي المأمون[1]، والى جانب مكتبة بيت الحكمة، توجد مكتبات عامـــة مماثلة في المدن الأخرى، كذلك أصبح مسجد القيروان الذي أسس سنة 50 هـــ وجامع الزيتونة سنة 114 هـــ في تونس بمثابة جامعتين علميتين يختلف إليهـــا طلبة العلم طوال عهد الأغالبة وبعده فضلاً عن مسجد سوســـة ورباطهـــا اللـــذين أصبحا مَدرستين لأصول المذهب المالكي.

---

[1] عثمان بن الكعاك، الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ص 112

obeikandl.com

(5)

الفاطميون / حاضرتهم المهدية

تتميز الحركة الثقافية والفكرية التي أرسها الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي وفيما بعد في بلاد مصر، بالعمق والشمولية، فقد تعهدوها بمستلزمات النمو وأثروها باستيعاب علمائهم ونضجهم واهتمام خلفائهم بالانشغال بالعلوم والمعارف والفنون والآداب، فقربوا العلماء والفقهاء والقضاة والمحدّثين والقراء والأدباء والشعراء وأصحاب المواهب والكفاءات من المؤرخين والأدباء والشعراء والمتصوفين، وصنفوا مئات الكتب في الحديث والعلوم والطب ونسخوها وأوجدوا مراكز العلم والثقافة في القيروان والمهدية ومن ثم في القاهرة والفسطاط وشدوا القصور التي أصبحت ميداناً لتجمع العلماء والفقهاء، يتنافسون ويتناظرون ويتطارحون في العلوم الدينية واللغة والشعر. أما المساجد فقد كانت بمثابة مراكز للعلماء والقضاة والوزراء يحاضرون الناس في العقائد والفقه، كما دأب الفاطميون على إقامة المكتبات التي كانت تحوي المصنفات من كتب اللغة والحديث والتاريخ والسير والفلك والكيمياء والطب، وكانت تنفرد باقتناء كتب لم يكن لها وجود في مكتبات قرطبة أو دمشق.

أما العلوم التي عُنى بها الفاطميون واشتغلوا فيها، فهي جميع العلوم الإسلامية أو الدينية التي أطلقوا عليها العلوم النقلية أو الشرعية مثل علم التفسير والقراءات والحديث والفقه وعلم الكلام وعلوم اللغة العربية مثل النحو واللغة والبيان والأدب وكذلك تناولوا العلوم العقلية والحكمية التي كانوا يطلقون عليها علوم الأوائل أو العلوم الدخيلة وتشمل الفلسفة والهندسة وعلم النجوم وعلم الفلك والموسيقى والرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا.

ومن أبرز الفلاسفة في العهد الفاطمي في بلاد المغرب هو عبد الرحمن أبو حاتم الرازي الورسناتي، وقد تأثر إلى حد كبير بمدارس الدعوة التي أسسها عبيد الله المهدي في بلاد المغرب، وكانت لأبي حاتم نظريات في المبادئ التي كان يؤمن

بها الفاطميون، كما أسهم في نشر الثقافة الإسلامية فتكلم في الفلسفة واللغة والتفسير والفقه ومن مؤلفاته كتاب " الزينة " تناول فيه الأمور الفقهية وفلسفة ما وراء الطبيعة وفيه معلومات عن الفرق الدينية وعن الجغرافية، وكتاب " أعلام النبوة " وهو من أهم الكتب الفلسفية، وقد توفى أبو حاتم الرزاي سنة 822 هـ[1] ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من البواعث السياسية والعسكرية لبناء الفاطميين مدينة المهدية فان دورها لم يقتصر على ذلك بل حرص الفاطميون ان تكون عاصمتهم الجديدة مركزاً من مراكز العلم ومجمعاً لعلمائهم وفقهائهم كما تميزت بالقصور والمنشآت والمساجد التي كان يتردد عليها طلبة العلم لأخذ الفقه وإتقان القرآن.

ولا شك في أن نشر مبادئ الفاطميين في بلاد المغرب بعد قيام دولتهم هناك استخدم تبصير المغاربة بفقهه وآرائه وعقائده فاتخذوا التفسير والتأويل وسيلة لهذا الغرض واعتماد الاستدلال العقلي في تفسير النصوص الدينية، كما أغدق الفاطميون الأموال على الشعراء الذين اتصلوا ببلاطهم فنجد المغالاة في شعرهم للإشادة بمجد الفاطميين وربما كان الفاطميون يفعلون ذلك لغرض استقطاب القبائل المغربية التي وقفت منهم موقفاً معادياً ولتثبيت دولتهم الفتية التي كانت تحتاج إلى التأييد والتعضيد.

---

[1] انظر للاستزادة عن دور أبي حاتم الرازي في الحركة العلمية والسياسية في الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ص 467 – 469)

obeikandl.com

(6)

المرابطون / حاضرتهم مراكش

شهر عن المرابطين ومؤسسي دولتهم الأول، أنهم كانوا من المتفقهين والمتبحرين في العلم، فقد عرف عن يحيى بن إبراهيم الجدالي، ميله للعلم والفقه كما كان وجّاج بن زللو اللمطي، فقيهاً من أهل السوس الأقصى أخذ العلم وانقطع للعبادة والعلم وأسس مدرسة للمالكية في بلده في عهد دولة المرابطين وكثر عدد تلاميذه، أما عبد الله بن ياسين الجزولي، فقد هدى المرابطين إلى المتاجرة بالعلم والفقه في الدين، وكان يحّث لمثونة وجداله على أخذ العلم وسرعان ما تجمعت حوله طائفة من التلاميذ أخذ يعلمهم القرآن والسنة وأحكام الدين.

وعلى الرغم من جفوة المرابطين وخشونتهم، فأنهم بدأوا يشجعون شعراء الأندلس وأدباءها وأهل العلم إلى الاختلاف الى بلاد المرابطين في المغرب فيذكر عبد الواحد المراكشي ما يشير الى اهتمام المرابطين بأهل العلم والكتاب وفرسان البلاغة، وهو يشبه بلاط المرابطين مجالس بني العباسي في بغداد في تشجيع العلماء والفقهاء والشعراء بقوله: " فأنقطع الى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى أشهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار " [1] وكان ممن اختلف من البلغاء والأدباء واللغويين أبو بكر المعروف بابن القصيرة، وهو كاتب المعتمد بن عبّاد الذي أُسقطت إمارته بعد دخول المرابطين الأندلس والوزير عبد المجيد بن عبدون وأبو القاسم بن الجدّ المعروف بالأحدب وأبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن القبطرية وأبو عبد الله ابن أبي الحضال الذي كان يُعدّ من أنبههم وأكبرهم مكانة لديه، وهو أحدج

---

[1] تلخيص أخبار المغرب ص 163 – 164

من انتهى إليه علم الأدب وأخوه أبو مروان[1] وهكذا تبدل بلاط يوسف بن تاشفين من بلاط يتسم بالخشونة والبساطة إلى بلاط متألق متحضر[2].

أما الحركة الفكرية المرابطية في الأندلس، فلدينا معلومات مفيدة عنها، فقد احتفظت بكثير من مظاهرها العلمية والأدبية، وهي استمرار لما كان عليه الأمر خلال عهد الطوائف. وقد بذلت دولة المرابطين رعايتها لطائفة كبيرة من العلماء والأدباء الأندلسيين واستخدم بلاط مراكش والأمراء والحكام بالأندلس كثيراً منهم في مناصب الوزارة والكتابة، أسوة بما كان في عصر الطوائف، ولعل في مقدمة من ظهر من الكتّاب والأدباء في العهد المرابطي في الأندلس عبد الرحمن بن محمد أسباط المتوفى 487 هـ وخلفه في منصب الكتابة أعظم كتّاب الأندلس هو محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي الذي كان من كتّاب الدولة في عهد يوسف بن تاشفين كما ضم البلاط المرابطي عدة من أعلام الكتّاب وأئمة البلاغة منهم أبو بكر بن عبد العزيز البطليوسى كما لمع اسم الكاتب، الفتح بن خاقان الذى أشتهر بأسلوبه البليغ المسجع ومن كتبه " قلائد العقبان "و" مطمح الأنفس "ويحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى المعروف بابن الصيرفى وهو من أعلام العصر المرابطي في البلاغة والأدب والتاريخ ومن كتبه في تاريخ الأندلس " الأنوار الجلّية في أخبار الدولة المرابطية " وكتاب " قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء "

ويعقد الدكتور محمد مجيد السيد، فصلاً مهماً عن " الحياة الفكرية في دولة المرابطين بالأندلس، فيقول: إن عهد المرابطين كان فترة نيّرة متحضرة لا تقل تقدماً وازدهاراً عن فترة الخلافة والطوائف [3] وعلى الرغم من تعصب المرابطين الديني، لم يعارضوا النشاط الأدبي والثقافي أن لم يشجعوه وان اغلب حكام المرابطين كانوا يستدعون أشخاصاً معينين للاستفادة من علومهم مغدقين عليهم

---

[1] عبد الواحد المراكشي، م. ن ص 173.

[2] د. السيد عبد العزيز سالم، م. ن ص 748 نقلا عن ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس ص 247.

[3] الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ص 80.

العطايا والنعم فقد استدعى علي بن يوسف بن تاشفين، الفيلسوف المتزهد، مالك بن وهيب من اشبيلية إلى حضرة مراكش وصيّره جليسه وأنيسه [1]. كما اهتم المرابطون بالكتّاب والبلغاء الأندلسيين للإعراب عن رغباتهم ومخاطباتهم مشجعين إياهم على الكتابة والتأليف، وكان لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين، دور كبير في تشجيع الكتّاب والشعراء[2] وهكذا يمكننا القول أن الحركة العلمية والأدبية في عهد المرابطين سواء في المغرب الإسلامي أو الأندلس قد حافظت على تقدمها وازدهارها حتى بعد سقوط دولة المرابطين.

---

[1] م. ب ص 160

[2] م. ن. ص 61 " يذكر الفتح بن خاقان في صدر كتاب " قلائد العقبان " إنه أقدم على تأليف كتابه هذا مدفوعاً بتشجيع من إبراهيم بن يوسف، كما يذكر ابن خفاجة في مقدمة ديوانه " إنه انصرف منذ زمن بعيد عن نظم الشعر لولا الأمير إبراهيم وحثه على قوله ومعاناته "

obeikandl.com

(7)

الموحدون / حاضرتهم مراكش / واشبيلية

كانت دولة الموحدين، دولة حامية للعلوم والآداب والفنون، حيث كان مؤسسها محمد بن تومرت من أقطاب علماء عصره، فقد أفسح في دعوته للعلم وحضَّ على تحصيله بقوة وحماسة فقال: " العلم أعزّ ما يطلب وأفضل ما يكتب وأنفس ما يدّخر وأحسن ما يعمل ، وهو الذي جعله الله سبب الهداية الى كل خير وهو أعزّ المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر وأحسن الأعمال " [1] كما كان عبد المؤمن بن على من ألمع علماء عصره ، التف حوله العلماء والكتاب والشعراء فبسط عليهم رعايته وغمرهم بصلاته. وكذلك كان يوسف بن عبد المؤمن بن على من أكابر علماء عصره، وكان أديباً متمكناً وفقيهاً ومحدثاً بارعاً شغف بالدراسات الفلسفية وقد جمع حوله طائفة من أعظم علماء العصر ومفريه وفي مقدمتهم أبو الوليد ابن رشد وأبو بكر ابن طفيل وأبو بكر بن عبد الملك بن زهر وهم من أساتذة الفلسفة والطب في هذا العصر، وكان ولده المنصور عالماً مستنيراً متمكناً من الحديث الشريف والفقيه واللغة، وكان بلاطه يضم العلماء و الأدباء و الشعراء و الأطباء و المهندسين والكتّاب والمؤرخين فيجزل لهم الصلات ويجرى لهم المرتبات العالية المنتظمة [2].

وعلى الرغم من تردي الأوضاع السياسية لدولة الموحدين في أواخر أيامها، فإننا نجد أمراءها لا يبتعدون عن أهل العلم والأدب والثقافة حتى لقد أصبحت النزعة العلمَية هي الغالبة في البلاط الموحدي سواء في مراكش أو في اشبيلية، فقد جرى خلفاء الموحدين على سياسة إطلاق حرية البحث والتفكير والرأي باندفاع كبير إذا ما قورن بما كانت عليه دولة المرابطين.

---

[1] محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ص 645

[2] المصدر نفسه ص 646

obeikandl.com

ويمكن أن نستفيد من الفصل الذي عقده الأستاذ محمد عبد الله عنان عن الحركة الفكرية والعلمية خلال عصر الموحدين، حيث يورد لنا أسماء جمهرة من العلماء والفقهاء والمفكرين والشعراء و الأدباء، ممن كانوا يختلفون إلى بلاط الموحدين أو كانوا يعيشون في كنفهم وممن تلقوا منهم الرعاية والصلات سواء من أهل المغرب أو من الأندلسيين، ويمكن أن نلاحظ تأثيراتهم العلمية والثقافية في المغرب أو الأندلس حيث كانت تستهوي علماء المغاربة الحياة في مدن الأندلس أو أن علماء الأندلس كانوا يختلفون إلى مجالس الموحدين في مراكش[1].

كما أتخذ الموحدين مجالس العلم، يحضرها الأمراء والعلماء، وكان لها نظام خاص، إذ يتصدر الأمير المجلس ثم خطيب الجماعة ثم قاضي الجماعة بمراكش، فرئيس الأطباء فأكبر علماء الحضرة فباقي الأعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم، ثم تبدأ المناقشة والمناظرة حول مسألة علمية يلقيها الأمير أو أحد العلماء وتناقش ثم تختم الجلسة.

---

[1] للاستزادة والإطلاع انظر: محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين ج 2 ص 649 – 680

obeikandl.com

(8)

بنو مرين / حاضرتهم مراكش أو فاس

لا شك فى ان عهد بنى مرين يعد استمراراً لما كان عليه عهد الموحدين وبخاصة فى الجوانب الحضارية والأحوال الفكرية والثقافية والعلمية منذ ظهر عدد من العلماء والمنكرين فى مدينة فاس وفى مراكش أو فى المدن والمراكز الأخرى التى أتيح لهم ان يبسطوا سيطرتهم ونفوذهم عليها ومعروف ان بعض من تولى أمر الدولة المرينية كان من الفقهاء المتبحرين فى العلم، فقد عرف عن أبى يوسف يعقوب انه كان من متقني العلوم الدينية وعارفاً بالحديث [1].

ومن الفقهاء والذين نسمع عنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق الذى ولاه الأمير أبو الحسن المريني أعمالاً سلطانية عدة [2] وأرسله فى سفارات لتميزه فى العلم والمعرفة، وأبو القاسم محمد بن جزى الذى كان أحد شيوخ الوزير لسان الدين بن الخطيب كما كان "فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس مشاركاً فى علوم عدة عربية وفقه وأصول وقراءات وأدب وحديث، مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب حسن المجلس، ممتع المحاضرة " [3].

---

[1] ابن أبى زرع، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ص 59.

[2] المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج5 ص 413.

[3] المصدر نفسه ص 414.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث عشر

النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية

1- بنو مدرار: الإمارة المدرارية.
2- بنو رستم: الإمارة الرستمية.
3- الأدارسة: إمارة الادارسة.
4- الأغالبة: إمارة الأغالبة.
5- الدولة الفاطمية.
6- دولة المرابطين.
7- دولة الموحدين.
8- إمارة بنى مرين.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث عشر

النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية

(1)بنو مدرار / الإمارة المدرارية:

قامت إماراتهم على مبدأ الخوارج الذى يبيح لكل فرد فى الدولة الإسلامية ان يحكم إذا توفرت فيه شروط وصفوها طبقاً لمبدئهم، ولكنهم أخذوا بنظام الوراثة فى الحكم بعد قيام إمارتهم وقد اتخذ حكم بنى مدرار الاستقلال عن النفوذ العباسى فى بداية عهودهم ولكنهم دخلوا فى تبعية الخلافة حتى وصفهم احد المؤرخين بانهم مجرد أعمال للعباسيين[1].

حكم الإمارة ستة عشر أميراً تراوحت سلطتهم بين القوة والضعف وفى عهد الأمراء الأواخر ضعفت السلطة السياسية فى الإمارة نتيجة للصراع بين أسرة بنى مدرار وتدبير المؤامرات بعضهم للآخر، وربما كان ذلك بسبب الانحياز الى مبدأ أهل السنة والتخلي عن مبادئ الخوارج التقليدية.

ومن الجدير بالذكر ان امارة المدرارين، تشكل فى أساسها تجميعاً للخوارج فى مناطق المغرب الأقصى يغلب عليه الطابع الديني المذهبي لذلك اصبحت مدينة سجلماسة بوتقة لتجمع عناصر مختلفة من قبائل المغرب وخاصة بطون قبائل مكناسة وصنهاجة اللثام من مسوفة ولمتونة وزويلة وكذلك جماعات من بلاد السودان وبعض الاندلسيين واليهود، وقد ساهم هؤلاء جميعاً فى عمران المدينة وازدهارها وظهورها كمركز اجتماعي، ولا ريب فى ان هجرة القبائل الى سجلماسة واختلاطها بجماعات السودان والاندلسيين المتحضرين نسبياً ترك أثراً فى أحوالها واستقرارها وأحدث تغيرات ملموسة فى عاداتها وتقاليدها وأساليب حياتها فترك معظمها حرفة الرعى واتجه نحو الزراعة والصناعة والتجارة ويبدو ان هذا النشاط خلق حافزاً للتطورات الاجتماعية وأوجد موازين جديدة للقوى الاجتماعية داخل المدينة مما أدى الى اتساعها وازدياد عمرانها شيئاً فشيئاً ويظهر

---

[1] د. محمود اسماعيل، المصدر السابق ص 94.

obeikandl.com

بصورة خاصة ان استقرار الصفات الاجتماعية التى نزحت إليها من المشرق وخصوصاً من بغداد ودمشق ومصر نقل الى سكان المدينة طباع سكان المدن الكبرى المزدهرة وحقهم على ممارسة حياة الترف والرفاهية ويشير ابن الخطيب الى ان أمير سجلماسة اليسع بن أبى القاسم 508/174هـ "بنى سور المدينة وقسم داخل السور على القبائل " [1] فازدهرت المدينة وأصبحت حاضرة لبنى مدرار[2] وأحس ابن حوقل بمنزلة أهل سجلماسة ورفاهيتهم بقوله "سجلماسة مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروءة وسماحة ورجاحة " [3] أما البكرى فيتحدث عن غنى أهلها وكثرة أموالهم[4] ويصفها المقدسى فى القرن الرابع الهجرى قائلاً: "سجلماسة قصبة جليلة وأهلها قوم جياد بها علماء وعقلاء " [5].

ولما كانت مدينة سجلماسة مدينة تجارية فلابد ان يظهر فيها النفوذ الإجتماعى للفئات التى تدير النشاط التجاري لذلك تبدو مظاهر الترف والثراء واضحة وبخاصة فى عهد بنى مدرار حيث بلغت أوج تقدمها الإجتماعى متمثلاً فى مبانيها وفنها المعماري وتقدمها العلمي وتتركز فى سجلماسة كما فى غيرها من مراكز الحضارة فى العالم الاسلامي خلال هذه الفترة مظاهر الحضارة.

---

[1] أعمال الأعلام ص 143 .

[2] اليعقوبى، كتاب البلدان ص 359.

[3] صورة الأرض ص 90.

[4] المغرب ص 148.

[5] احسن التقاسيم ص 65.

obeikandl.com

ومعالم الترف الإجتماعى[1] مثل الحمامات والقصور والمنشآت ودور العلم[2] وكذلك بروز العلاقات الاجتماعية الجديدة داخل الأسرة أو بين العناصر والفئات التى كان يمثلها التجار والمسافرون المسلمون الذين وفدوا إليها من المدن الإسلامية الشهيرة فى المشرق الإسلامى مثل البصرة والكوفة وبغداد ودمشق والسكان الأصليين على اختلاف قبائلهم ونحلهم أو بينهم وبين الأقليات من الأديان وخاصة اليهود الذين سيطروا على الحياة الاقتصادية بسبب استحواذهم على تجارة الذهب [3] .

غير أن أغلب القبائل المنضوية داخل حدود إمارة المدرارين جذبهم الاهتمام بالأنشطة الاقتصادية وبخاصة الزراعة حيث تقوم على المياه التى يوفرها نهر ملوية الذى تقع على منحنياته مدينة سجلماسة حيث يحول هذا النهر المناطق التى تحيط بالمدينة الى سهول فيضية صالحة للإنبات الزراعى فكانوا يكثرون من الأراضى الزراعية وتوسيع رقعتها بحفر الخلجان وشق القنوات مما يساعد على الاستكثار من الفروس وخاصة النخيل[4] كما احتفروا الأحواض واختزنوا فيها

---

[1] وذلك بالقياس الى حياة القبائل الرحل فى البوادي الصحراوية وبراري سجلماسة واودغست ونواحي لمطة وفزان، ففيها مياه عليها قبائل مهملين لا يعرفون الطعام ولا نرد الحفطة ولا الشعير ولا شيئا من الحبوب والغالب عليهم السقاء والاتشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن واللحم فيذكر الحميرى ان السجلماسيين واغلبهم من القبائل التى هاجرت الى المدينة اكتسبوا كثيرا من المهارات فى الآداب العامة ومنها مهارة الطبخ تعلموها من السودانيات المهارات فى عمل الأطعمة ولاسيما أصناف الحلاويات مثل الجوزنيات واللوزنيجات والقاهرات والكنافات والقطائف والمشهيات (الروض المعطار فى خبر الأقطار ص 64).

[2] ابن حوقل، المصدر السابق ص 84.

[3] يشير صاحب الكتاب الإستبصار فى عجائب الأمصار الى ان سكان سجلماسة نقموا على اليهود بسبب سيطرتهم على الاقتصاد واستعدوا عليهم داعية الفاطميين أبى عبد الله للانتقام منهم حيث أمر هذا الأخير بقتل أغنيائهم واخذ أموالهم وفرض عليهم امتهان احدى حرفتي: الكنافة أو البناء وكانت هاتان الحرفتان من الحرف الرذيلة لكنهم ما لبثوا ان عادوا الى مزاولة دورهم فى الحياة الاقتصادية (مجهول ص202).

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق ص 139.

المياه لري مزارعهم ولشربهم وأغراضهم الأخرى[1] وبذلك اصبحت منطقة سجلماسة عبارة عن واحة مغمورة بالبساتين والغروس ومقسمة الى أحواض تملؤها مياه وادى نهر ملوية بفرعيه الشرقى والغربى.

ويلقى ابن حوقل ضوءاً مفيداً على طبيعة النشاط الزراعى والمواسم الزراعية فى المناطق التى تدخل تحت نفوذ المدرارين ويقارنها مع الزراعة فى مصر التى كانت تتم بالارواء من ضفتي نهر النيل فيشبه نهر ملوية بنهر النيل لما يزيد فى الصيف فيتم الزرع حسب زرع مصر وكانوا يزرعون سنة ويتركون الأرض فى السنة التالية كما ان بعض الأراضى تغدق بالمياه فيتم استصلاحها فتزرع لمدة سبع سنين متوالية [2] .

ولعل من أهم منتجاتهم الزراعية، الأعناب والزبيب الظلى[3] والتمور التى كانت على أنواع حيث بلغت ستة عشر صنفاً يذكر ياقوت منها: "العجوة والدقل ويقول أن أكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر " [4] . كما ان لهم رطباً أخضراً مثل السلق فى غاية الحلاوة " [5] كما زرعوا القمح والشعير وعرفت لديهم أنواع من الحبوب ليست قمحاً ولا شعيراً صلب المكسر لذيذ المطعم وخلقه بين القمح والشعير[6] ويسمى البكرى هذا النوع من الحبوب (الصيني)[7] والى جانب غرس الأشجار وزراعة الحبوب ظهر اهتمامهم بزراعة القطن والكمون والكرويـاء والحناء[8] وأنواع من الخضر والثمار والرمان وجميع الفواكه والمحاصيل بحسب فصول

---

[1] البكرى، المغرب ص 148 ثم انظر كتاب الإستبصار ص 201 يقول: " ولهم مزارع كثيرة يسقونها من النهر فى حياض كحياض البساتين ".

[2] صورة الأرض ص 90.

[3] البكرى، م. ن. ص 148.

[4] معجم البلدان ج3 ص 162.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق ص 90.

[6] م. ن. ص 90.

[7] المغرب ص 151.

[8] الأدريسى، صفة المغرب وارض السودان (قطعة من كتاب نزهة المشتاق) ص 98.

السنة كما اعتنوا بتربية الماشية والأغنام والأبقار فكانوا "يبيحون البلاد للمراعى والزرع والمياه لورود الإبل والماشية " [1].

أما فى مجال الصناعة فان بعض من السكان لا يعدمون الاشتغال ببعض الصناعات اليدوية، مثل صناعة النسيج التى كانت تعتمد على القطن الذى ينتج محلياً وعلى الصوف الذى يصفه البكرى بانه من أجود الأصناف ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها بأكثر من عشرين مثقالاً [2] لذلك اشتهر اللباس السلجماسى فى بلدان المغرب والمشرق والأندلس[3] ويفيدنا ياقوت بما ذكره عن مهارة النساء السجلماسيات فى صناعة النسيج وتفوقهن فى صناعة الأرز فقال: (ان لنسائهم يد صناع فى غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الارز تفوق الأرز القصبية التى بمصر يبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثون ديناراً وأكثر كأرفع ما يكون من القصب الذى بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونها بأنواع الأصباغ " [4] .

وهناك حرف تتعلق بالبناء مثل الحدادة والنجارة وصناعة السكر وتكرير الملح[5] وصناعة الأحذية [6] الى جانب صناعة الأوانى الخشبية من شجر يعرف (تامجاثت)* وهو اسم المنطقة التى كان يؤخذ منها وصناعة المصوغات الذهبية والعضية والحلي يقوم بها صاغة مهرة فى مدينة سجلماسة اغلبهم من أهل

---

[1] ابن حوقل، م. ن. ص 100

[2] المغرب ص 147.

[3] وهذا اللباس يشبه اللباس الدرجينى فى ثوبه ولونه ولكنه يفوقه جودة (انظر د. الحبيب الجنحانى، المغرب الإسلامى ص 174).

[4] معجم البلدان ص 192.

[5] القلقشندى يصبح الأعشى فى صناعة الانشا ج5 ص 164.

[6] الشماض، السير ص 248.

* يصفه البكرى (شجر يعظم ورقة هدب كورق الطرفاء ويصنع منه آنية سجلماسة ودرعه) ص 156.

الذمة[7] ،وكانت معادن الذهب والفضة تستخرج من المناجم والمحاجر فى منطقة درعة [1] أو من الذهب المستورد من بلاد السودان[2] كما يوجد معدن الفضة بجبل مجاور لمدينة سجلماسة، ويؤكد البكرى أنها بلاد مشهورة بالذهب[3] كما يؤكد الأصطخرى أنها بلاد قريبة من معدن الذهب بينها وبين ارض السودان وارض زويلة ويقال انه لا يعرف بلداً للذهب أوسع ذهباً ولا أصفى منه[4].

وفى التجارة تحتل امارة بنى مدرار مكانة مرموقة بين إمارات ودول المنطقة بسبب نشاطها الذى كان يتركز فى مدينة سجلماسة التى اصبحت على حد قول الدكتور الحبيب الجنحانى مركزاً تجارياً عالمياً فى تلك الفترة، ويعزى ذلك الى تجمع الثروة فيها ولاسيما الذهب الذى أتاح لهم مزاولة التجارة على نطاق واسع فأصبح أهلها من أغنى الناس وأكثرهم مالاً [5]. وكان الاتجار بالذهب يحتل المنزلة الأولى بين تجارات المدراريين ويفهم مما جاء عند البكرى[6] وياقوت[7] ان حصول السجلماسيين على الذهب تبدو أهميته دون البضائع والتجارات الأخرى حتى أصبح هذا المعدن عند سكان المدينة "جزاف عدد بلا وزن".

ولا غرو، فان النشاط التجاري يتمثل بجميع البضائع التى كانت تحملها القوافل التجارية سواء المتجهة الى سجلماسة أو المنطقة فهى ولعل أهم السلع التى كانت تصدرها هذه المدينة الى بلاد السودان وغانة والتكرور ومدينة واودغست هى

---

[7] (واغلبهم من اليهود أو الاندلسيين والفرس والمشارقة) د. الحبيب الجنحانى ، المصدر السابق ص 175 .

[1] ابن الفقيه الهمدانى، مختصر كتاب البلدان ص 80.

[2] د. الحبيب الجنحانى، المصدر السابق ص 175.

[3] المغرب، المصدر السابق ص 151.

[4] مالك الممالك ص 34.

[5] المغرب الإسلامى ص 176.

[6] المغرب ص 157.

[7] معجم البلدان ص 151.

obeikandl.com

القمح والتمور والزبيب والثمار المجففة والمنسوجات القطنية والصوفية والنحاس المصنع والاحجار الكريمة والخرز والملح والحناء والماشية [1]. أما وارداتها من اودغست فهى أشجار الصمغ ومن السودان الذهب والرقيق[2] وفى نطاق التجارة الخارجية فيستورد التجار السجلماسيون الفستق من مدينة قنصه ويحملون السكر والكمون والكراوية والأحذية الى القيروان [3] .

وتبادل تجار بنى مدرار مع بلاد الأندلس، السلع والمتاجر، فكان المداريون يصدرون القمح والسكر والكروم والتمور فى مقابل الثياب والمطرزات القطنية والكتانية والحريرية التى اشتهرت بها قرطبة [4]، ونتيجة لتطور صناعة النسيج القطني فى سجلماسة فقد استوردت القطن الاشبيلى الخام الشهير فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، فيشير الحميرى الى ما يفيد بجودة القطن فى اشبيلية وتجهيزه إلى سجلماسة[5] كما انه نتيجة لهذا التبادل التجاري، ان توطدت العلاقات بين الطرفين وقدمت التسهيلات للتجار الاندلسيين المدرارين فى جلب السلع التى كان يروق لهم المتاجرة فيها .

ويبدو أن امارة بنى مدرار عقدت أوثق الصلات ببلاد التكرور وغانة التى كانت تعرف ببلاد السودان الغربي واحتلت العلاقات التجارية مكانة متميزة وأصبحت سجلماسة مركز الاتصال بين بلاد المغرب الإسلامى وبين بلاد السودان حيث تتجمع القوافل فى مدينة درعة عند خروجها من إمارة بنى مدرار، وعرفت " أيو الأتى " بأنها أولى المراكز السودانية التى كانت تنزلها هذه القوافل[6].

---

[1] البكرى، المصدر نفسه ص 158-159، الأدريسى، نزهة المشتاق ص 60.

[2] البكرى، المصدر نفسه ص 159.

[3] د. محمود اسماعيل، المصدر السابق ص 208.

[4] د. محمود اسماعيل، الم صدر السابق ص 209.

[5] الروض المعطار ص 59.

[6] د. محمود اسماعيل، م. ن. ص210.

ويسلك التجار القادمون الى الإمارة المدرارية أو الخارجون منها مع قوافلهم طرقاً برية وبحرية ولعل أهمها طريق تربط سجلماسة بمدينة وجدة، تبدأ من هذه الأخيرة الى مدينة صاغ ومنها الى تافلييت ثم الى جبل بنى يرنييان وقير ومنه الى مدينة الاحساء ثم الى مسلي منتهياً بسجلماسة[1]، وكانت هذه الطريق تتصل بطريق أخرى فى موضع معين من المشرق الإسلامى مبتدئة من بغداد والبصرة مارة بالانبار وهيث والرقة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والإسكندرية ومنها برقة ثم الى طرابلس ثم تصل الى تاهرت عاصمة الرستمين ومنها الى سجلماسة والطريق الثانية التى تربط امارة المدراريين مع الإمارة الرستمية مبتدئة من سجلماسة ومنتهية بورجلان[2] والثالثة بإمارة الادارسة من مدينة فاس الى سجلماسة أما الطرق البحرية فهى التى تنتهى عند موانى المدراريين على ساحل الأطلنطى مبتدئة من موانئ الأندلس مثل اشبيلية وشاطبة . وكان ميناء بحريت من الموانئ الشهيرة التى دأبت على تصدير البضاعة الى سجلماسة وتابحربت مدينة مسورة على ساحل البحر وهى محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة[3] .

وتحدثت المصادر عن العملة السجلماسية وأهميتها فى محيط التداول حيث اقتنى أمراء الأندلس منها كثيرا واتخذوها وسيلة للتبادل وربما كان ذلك بسبب محافظتها على قيمتها النقدية أو لأنها ضربت من الذهب الإبريز الذى كان يفضله الاندلسيون لذلك اصبحت حركة التبادل التجاري فى امارة بنى مدرار تتم بمقايضة الذهب وبخاصة فى عهد الأمير الشاكر لله[4] حيث ضرب السكة باسمه ولقبه وكانت تسمى "الدراهم الشاكرية " [5] وهى عملة طيبة للغاية [6] وان العملة التى ضربها

---

(1) البكرى، المصدر السابق ص 80.
(2) البكرى، المصدر السابق ص 77.
(3) م. ن. ص87.
(4) ابن خلدون، العبر ج 6 ص 131 السلاوى، الاستقصا ج1 ص 113.
(5) م. ن. ص 270.
(6) السلاوى، م. ن ص 119 "يوجد هناك صورة لدينا ضرب فى عهد الشاكر بالله : الكتاب دائرية الوجه الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ستون وثلاثين وثلاثمائة (363)-محمد رسول الله- الإمام الشاكر لله أما الوجه الآخر فغير واضح وتصعب قراءته وهناك شكوك تحوم حوله ونجد دينارا آخر ضرب سنة 345هـ الوجه الأول : عبد الله – لا اله الا الله وحده لا شريك له والوجه الاخر – محمد رسول الله – الإمام – الشاكر لله –بسم الله ضرب هذا الدينار سنة خمس وأربعين وثلاثمائة(انظر د. محمود اسماعيل، المصدر السابق ص 304) .

سنة 336هـ كان لها وزنها 19 غم وقطرها 39ملم والتى ضربها سنة 340 هـ وزنها 21غم وقطرها 40.10 ملم[1] .

(2) بنو رستم / الإمارة الرستمية:

إمارة مستقلة استقلالاً تاماً عن سطوة العباسيين ونفوذهم وكان ينبغى ان تكون "الإمامة" (السلطة) فيها متداولة تطبيقاً لمبادئ الخوارج فى موضوع الخلافة الإسلامية ولكنهم انتهجوا النظام الوراثى فى الحكم وأوجدوا ما أطلقوا عليه "مجلس الشورى" أو "مجلس المستشارين" ويكون الإمام مسئول أمامه عن تنفيذ ما ينص عليه مبدأ الشورى الذى اتخذه الخوارج الإباضيون وكان هذا المجلس يتألف من (الشراة) الخوارج وشيوخ المذهب وزعماء القبائل ووجوهها ويتكون من سبعة من رجال الإمارة وصفوا بانهم أصحاب الصلاح والزهد والعلم وكانت سياسة عبد الرحمن بن رستم مؤسس الإمارة تقوم على إرساء نظمها وإدارتها وذلك بإيجاد القوانين والرسوم التى تحكم مسيرتها كما التزم بسياسة المهاونة مع القوى الخارجية ووضع هدفاً لتحقيق المصاهرات السياسية مخالف بنى مدرار وهم إخوانه فى المذهب بمصاهرة احد أمرائها وهو اليسع بن أبى القاسم.

والظاهر ان سياسات الأمراء الأوائل قد أثمرت فى تقوية الإمارة وجعلتها تتقدم فى خطوات ملموسة فأصبحت مثابة لأهل المغرب والمشرق واستحدثت القوانين التى تنظم الاحوال الاقتصادية والعلمية والفنية والاجتماعية فى الإمارة وذلك لجميع السكان والطوائف الإسلامية التى هاجرت واستوطنت فيها.

لقد تمخض قيام امارة الرستميين وتأسيس مدينة تاهرت حاضرة لها عن تحولات اجتماعية ملموسة فى حياة السكان وبخاصة منطقة المغرب الأوسط فقد ترتب عليه الانتقال من حياة البداوة والترحال والرعي الى حياة الحضارة والاستقرار حيث ظهرت المعالم الحضارية المتمثلة بمخلفاتهم المادية مثل دور الإمارة والقصور والمباني والضياع والمنشآت العامة مثل الفنادق والحمامات

---

[1] Lavoio x, M. H. Cataloque des nmonnaies Muslu-Mane de la Bibloitheque Natiamale "Lspagne et Atrique" Paris-1891, P 402.

والمساجد ومراكز العبادة والتصوف فكان عهد افلح بن عبد الوهاب من العهود الزاهرة الذى "شمخ فى ملكه وابتنى القصور واتخذ لها أبواباً من الحديد وتنافس الفاس فى البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع واجروا الأنهار إليها " [1] وكان الرستميون قد تأثروا ببناء منشآتهم وقصورهم بالتقاليد المعمارية العراقية والسورية فقد كان نظام البناء فيها أشبه بالقصور التى شيدها الخلفاء الأمويون فى بلاد الشام[2].

إن القبائل التى ناصرت الرستميين وبخاصة لماية ولواته وهواره وزواغه ومطماطة وزناته ومكناسه قد استقرت فى مدينة تاهرت وضواحيها أما قبائل مزاته وسدداته فكانت تنتجع من مواطنها فى مواسم معينة باتجاه المدينة لإصابة الماء والكلأ كما فضلت قبيلة نفوسه البقاء فى المنطقة الجبلية قرب طرابلس وعلى أية حال فان ما ينتقل من جميع هذه القبائل المنتجعة الى تاهرت يصبح جزءاً من سكانها ويتحول الى الحياة الحضرية.

وبمرور الزمن ظهر فى مدينة تاهرت خليط سكاني غير متجانس وتعقيدات فى طبيعة العلاقات بين سكان المدينة المتحضرين بمظاهر الترف والبذخ وبين القبائل الظاعنة أمام ابوابها حيث احتفظت بطبيعتها القبلية[3]. وتاهرت مثل غيرها من المدن الإسلامية المعاصرة لها برزت فيها طبقة جديدة من السكان حازت على الثراء والعقارات[4]وعلى النفوذ والامتيازات فى الإمارة والحكومة[5]

إن هذه الطبقة الاجتماعية كانت تسمى لضمان مصالحها وديمومتها وكان عليها ان تتطلع الى السلطة وتنتزع لها صلاحيات داخلها وتعمل على تكريس نفوذها

---

[1] ابن الصغير المالكى، أخبار الأئمة الرستميين ص 26، النفوس، الأزهار الرياضية ص 42.

[2] لم يتبق من هذه المنشآت شئ يذكر حيث تخربت عمائرها وأصبحت أطلالاً وان الاستنتاجات تقوم على المصادر التاريخية بهذا الخصوص.

[3] د. الحبيب الجنحانى، المغرب الإسلامى ص 113.

[4] يمكن ان نطلق على هذه الطبقة "الأرستقراطية" كما هو الحال بالنسبة للمدن الإسلامية الأخرى فى حقبة العصور الوسطى.

[5] ابن الصغير المالكى، أخبار الأئمة الرستميين ص 26-31.

obeikandi.com

وكان لهذا أثره الواضح فى نشوب الثورات والانتفاضات وحدوث دوامة من الفوضى السياسية ومزيد من الصراع المصحوب بالمؤامرات داخل سلطة الإمارة.

وكان الانصراف الى الحياة الاقتصادية قد ترتب عليه قيام حركة التطور الإجتماعى فادى الى حياة مترفة وباذخة وتحولت مدن غدامس وورجلان وودان وزويلة من مجرد قرى صغيرة مغمورة على حافة الصحراء الى منافذ وثغور داخلية آهلة بالحركة والنشاط كما غدت مراكز حضارية تزدان بالعلم والثقافة والسياسة والفن [1].

ولدينا بعض المعلومات عن التحولات الاجتماعية التى أصابت الرستميين فى مضمار الحضارة وعن تشبههم بالمشارقة فى امتلاك القصور والضياع والمنازل والحصون واقتناء الجواري والغلمان والعبيد والحشم والانصراف الى حياة الترف والولع بالفنون والآداب وإقامة الأسمطة والمآكل للاطعام فى أيام الأعياد ونصب الاحتفالات والمهرجانات التى كانت تحضرها الوفود من العامة والأجناد أو من الخاصة والأمراء ورجال الجيش والبلاط أو من وفود الدول والإمارات الأخرى وسفاراتهم [2].

ومن التطورات التى شهدها المجتمع الرستمي ظهور المرأة على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية فقد كان لبعضهن دور فى الحركة والدعوة الاباضية[3] كما أسهم بعضهن الآخر فى الحياة الفكرية والثقافية حيث كن يحضرن الدروس والمناظرات التى كانت فى المساجد[4] ومن النساء اللاتي برزن فى السياسة "غزالة" أم شبيب بن يزيد الشيبانى و"غزال" زوجة أبى اليقظان محمد بن

---

[1] د. محمود اسماعيل، المصدر السابق ص 217.

[2] النفوسي، الأزهار الرياضية ص11، 25، 48، ابن الصغير المالكى أخبار الأئمة الرستميين ص 31،34،49،52 .

[3] الشماخى، السير ص 193.

[4] لقد كان فى كل مسجد قسم خاص للنساء يفصله عن قسم الرجال جدار مخرم يستر النساء ولا يحجب عنهن صوت المدرس.

أبى اليقظان التى أرغمت زوجها على تقليد ابنها يوسف ولاية العهد و "دوسر" ابنة يوسف بن محمد بن أبى اليقظان التى كان لها دور معروف فى الأحداث التى أودت بالإمارة الرستمية[1]. أما من برزن فى علم الفلك والنجوم فمنهن أخت عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حيث نافست أخيها افلح فى تتبعه واهتمامه بهذا العلم[2] .

وتقترن التطورات الاجتماعية فى امارة الرستميين بالتحولات الاقتصادية التى شهدتها والزراعة تأتى فى مقدمة الاهتمامات التى انصرف الناس إليها حيث شهدت ازدهاراً ملحوظاً ولعل أوضح صورة للنشاط الزراعى ما يذكره الأصطخرى بقوله: "ان مدينة تاهرت كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه[3] " وكذلك ما أشار إليه المقدسى وهو من أهل القرن الرابع الهجرى ومعاصر للرستمين قوله:"ان تاهرت عاصمة الرستميين قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت فى البساتين ونبعت حولها الأعين " [4] ويؤكد معاصره ابن حوقل أن أهل تاهرت "لهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين وهى احدى معادن الدواب والماشية والغنم والبغال ويكثر عندهم العسل والسمن[5] " والظاهر أن الاهتمام بالزراعة استمر حتى بعد زوال امارة بنى رستم فيذكر البكرى فى القرن الخامس الهجرى " إن تاهرت تقع فى سفح جبل على نهر يسمى (مينه) ونهر آخر يجرى على عيون تجتمع يسمى (تاتش) ومنه شرب أهلها وارضها وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسناً وطعماً ومشماً "[6] أما

---

[1] انظر للاستزادة: د. محمود اسماعيل، المصدر السابق ص 218، محمد على دبوز المغرب الكبير ج3 ص 109.

[2] الشماخى، السير ص 193.

[3] المالك والممالك ص 34.

[4] احسن التقاسيم ص 228.

[5] صورة الأرض ص 86.

[6] المغرب ص 66-67.

صاحب كتاب الإستبصار فيؤكد المعلومات التى جاءت عند البكرى "ان تاهرت فى منطقة بساتين كثيرة فيها جميع الثمار"[1] كما يتحدث عن قلعة هوارة بضواحي تاهرت أنها قلعة منيعة فى جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب"[2].

أما المناطق الزراعية، فاهمها منطقة الجانب الغربي والشمالي من الإمارة وتشتهر بزراعة الحبوب ومنطقة الجانب الشرقى وهى بلاد نفوسة وتمتاز بالكروم والأعناب والتين والحبوب ومنطقة جربة الشهيرة ببساتين الزيتون والنخيل والكروم ومنطقة الجنوب وهى موطن النخيل ومنطقة الواحات ومنطقة وارجلان الكثيرة الزرع والضرع من الحبوب والنخيل ومنطقة بلاد الجريد وهى قسطيلية ونفطة تنتج التمور والحبوب والحنطة والشعير[3] ويستفاد من إشارة النفوسي وهو مؤرخ مطلع نقل معلوماته عن الرستميين من مصادر معتمدة ان الرستميين اختاروا موقع عاصمتهم فى مكان "جيد الهواء كثير المياه خصب الأرض "[4] والظاهر انهم أفادوا من هذه المياه اذ شقوا القنوات فزرعوا الكتان والسمسم وسائر الحبوب وغرسوا الأشجار وأقاموا البساتين[5] .

والى جانب الزراعة فى امارة الرستميين ظهر الاهتمام بالصناعة التى كانت تقوم خبرة الصناع والمهرة وأصحاب الحرف من الأمصار والأقطار الذين استوطنوا تاهرت والمدن الأخرى فبرزت صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والقطنية والحريرية والزرابى المزركشة وصناعة القوارير الزجاجية والاوانى الخزفية البراقة والملونة والحلي الذهبية والفضية واوانى النحاس الأحمر والأصفر المنقوش والخشب المحفور والمموه والمرصع بالعاج أو الصدف والمصنوعات

---

[1] مجهول ص 176.

[2] م . ن. ص 178-179.

[3] بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية (رسالة ماجستير لم تطبع بعد) الورقة 150 .

[4] الأزهار الرياضية ص 134.

[5] البكرى، المصدر السابق ص 68.

الحديدية بأنواعها مثل الأسلحة والأقفال والاوانى والتحف المعدنية وصناعة الافاوية والعطور والأدوية المركبة والعقاقير الطبية وأنواع الصبغة ذات الألوان الزاهية[1] وصناعة ضرب النقود والسكة من الذهب المجلوب من بلاد السودان[2]. وهناك صناعة مرتبطة بالزراعة والماشية مثل صناعة المحاريث والمناجل والفؤوس، كما توجد معاصر الزيتون ومطاحن القمح الموزعة على الأنهار العديدة[4].

ومن الجدير بالذكر ان وفرة المناجم والمحاجر فى بلاد الرستميين ساعد كثيرا على ظهور معظم الصناعات وارتقائها وتطورها وكثرة المشتغلين فيها من العناصر غير المغربية مثل الاندلسيين والعرب المشارقة واليهود الذين كانوا يقيمون فى تاهرت[5] وجاء عند الدكتور الجنحانى ان الحفريات التى أجريت فى منطقة تاهرت عثرت على قطع من الخزف والاوانى دللت على وجود صناعات يدوية فيها كما ان المدينة عرفت مصانع تنتج الاوانى وما تحتاجه حركة البناء ولاسيما القصور والمنازل والمباني من الخزف والمنقوشات الملونة[6].

أما النشاط التجاري فى امارة الرستميين منذ اخذ دوره فى التحولات الاجتماعية حيث لعب التجار الرستميين دور الوسيط التجاري بين المشرق الإسلامى والمغرب الإسلامى طوال فترة القرن الثالث الهجرى فكانت التجارة تنقل عبر الصحراء من بغداد والبصرة وتسلك الطريق نفسه الذى يؤدى الى تاهرت وسجلماسة عاصمة بنى مدرار كما نقل الرستميون تجارتهم الى بلاد الأندلس حيث وصلوا الى موانئها المهمة مثل شاطبة وندمير ومرسي أفلة[7] كما استقبلوا التجار الاندلسيين.

---

[1] أبو زكريا، السيرة وأخبار الائمة الورقة 42،41،37 ، الدرجينى ، طبقات الاباضية الورقة 47.

[2] ابن الصغير المالكى، أخبار الائمة الرستميين ص 12، 13.

[4] د. محمود اسماعيل، المصدر السابق ص 205 – 206 .

[5] النفوسي، المصدر السابق ص 9.

[6] د. محمود اسماعيل، المصدر السابق ص 205.

[7] بحاز إبراهيم بكير، المصدر السابق الورقة 193-195.

obeikandl.com

ويمكن القول، ان منافذ الإمارة الرستمية اصبحت محطات لرحيل القوافل من المشرق والمغرب والأندلس على السواء ويبدو ان طائفة من التجار العراقيين كان لهم مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم وأسواقهم الخاصة[1] مما يشير الى اهتمام الرستميين بتجارة المشرق وايلاء التجار المشارقة رعايتهم فكفلوا لهم الحماية والأمان فى طرقهم وبلادهم[2] .

ومن مظاهر الحركة التجارية ما كان يفد من تجار القيروان الى تاهرت وما كان يخرج من تاهرت الى القيروان من القوافل التجارية تنقل مختلف السلع والمتاجر وذلك نتيجة للتسهيلات التى كان يقدمها الرستميون للتجار وتأمينهم على نقل التجارة وكثيرا ما آثر بعض التجار والحرفيين الاندلسيين والمدراريين والعراقيين وغيرهم الإقامة فى تاهرت والعمل فى أسواقها وحوانيتها.

وكان الرستميون يستوردون كثيرا من السلع والأمتعة من بلاد السودان وأهمها الذهب الخام لاستعماله فى ضرب النقود والعملة أو لاتخاذه حلياً وكذلك ريش النعام وجلود الحيوانات والأبنوس كما استوردوا السلع الأندلسية عن طريق الموانئ فى تنس ومستغانم ووهدان وكانوا يصدون الثياب القطنية والكتانية والحريرية التى كانت تشتهر بها قرطبة[3] كما تصدر الى السودان المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والاوانى الزجاجية والخزفية والأصواف والتحف المعدنية والعطور والبخور والافاوية[4] إضافة الى الملح والنحاس والودع[5] كما خرجت قوافل الرستمين الى بلاد الأندلس حاملة القمح والعاج والجلود المصنعة التى كانت تحصل عليها خاماً من السودان وغانة[6].

---

[1] د. محمود اسماعيل، المصدر نفسه ص 209.

[2] بحاز إبراهيم بكير، المصدر نفسه الورقة 175.

[3] ابن الصغير المالكى ص 18.

[4] النفوسي، الأزهار الرياضية ص 137.

[5] القلقشندى، صبح الأعشى ج5 ص164.

[6] د. السيد عبد العزيز سالم ج2 ص 577.

obeikandi.com

ويشير الأصطخرى الى الطريق التجارية التى كانت تربط كلاً من تاهرت وسجلماسة وكانت مسافته بينهما تقرب من خمسين مرحلة[1] وهذه الطريق كانت تعج بالقوافل من كلتا العاصمتين وهى محملة بالسلع والمنتوجات لغرض تبادلها.

ولا غرو فان نشاط التجار الرستميين ترك آثاراً اجتماعية فى مدينة تاهرت ونجد كثيراً من التفصيلات عند المؤرخين والجغرافيين عن مظاهر العمران والرفاهية وتنوع الحضارة فى هذه المدينة ونخص منهم ابن الصغير المالكى الذى يشير الى ان أهل تاهرت "علت وجوههم سيماء الحضارة والرفاهية وبدت من محياهم آثار النعمة والغنى[2] ".

ومن الجدير بالذكر ان منطقة ورجلان ومدينة ورجلان فى الصحراء كانت من اكبر القواعد التجارية فى الإمارة الرستمية وتتركز تجارتهم مع السودان فيذكر النفوسي بهذا الصدد قائلاً: "وكان أكثر المسافرين لتجارة السودان فى ذلك العهد من أهل مدينة ورجلان وهواره " [3] كما أن قبيلة هواره من أكثر القبائل التى تولت النشاط التجاري فى شرق طرابلس وفى المغرب الأوسط وفى الصحراء وفى تاهرت وفى جبال أوراس وفى المغرب الأقصى وقد تخصصت فى التجارة مع بلاد السودان[4] فضلاً عن ان أهل جبل نفوسه وهم رعايا فى الإمارة الرستمية قد تولوا مهمة النشاط التجاري مع السودان. أما تجارة الرستميين مع مصر فقد كانت هوارة ونفوسة وبعض القبائل الأخرى تتولاها فقد كانت تجوب صحراء سرت ناقلة البضائع التجارية بين المدن الرستمية فى المغربين الأدنى والأوسط وبين مصر[5].

---

[1] المالك والممالك ص 37، 38.

[2] أخبار الأئمة الرستميين ص 13.

[3] الأزهار الرياضية ص 174 .

[4] محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج3 ص 348 (جاء ان قبيلة هواره انشأت مدينة اهفار) وجعلتها مركزاً لتجارتها مع السودان.

[5] محمد على دبوز ن المصدر نفسه ص 351 .

(3) الأدارسة / إمارة الأدارسة:

امارة مستقلة، وهى تمثل آمال العلويين فى إقامة كيان سياسي لهم طالما افتقدوه فى المشرق الإسلامى بعد ان خذلهم العباسيون غداة إسقاط دولة الأمويين هناك، اذ كانوا يطمحون لتكوين دولة ترتكز على مقومات سياسية وإدارية وقد حققوا أهدافهم حيث برزت إمارتهم فى المغرب الأقصى، وهى تتحد فى الإجراءات العباسية التى كانت تستهدف القضاء عليها وتصفية أمرائها.

كان نظام الحكم فى امارة الادارسة وراثياً، حيث تولاها عشرة أمراء جميعهم من سلالة إدريس بن عبد الله، وبعد وفاة إدريس الثانى تولى ابنه محمد فقسم الإمارة الى أعمال (وحدات إدارية) لكل عمل منها دواوين وكتاب وجباة. وقد تمتعت امارة الادارسة بأسباب القوة والمتعة واستطاعت ان تبسط سيطرتها على اغلب القبائل المغربية فى منطقة المغرب الأقصى ومنها اوربة وضدينة وزناته وزواوة ولواته وسدراته ونفزة ومكناة وغمارة، لذلك يمكن القول ان قيام الإمارة يمثل فى جانبه الإجتماعى اتجاهاً يبلور صيغة لحركة جديدة ذات طابع قومي- إذا صح التعبير - فقد قامت على جهود هذه القبائل وكان انتصارهم لدعوة الادارسة قد تم باختيارهم منطلقين من مبدأ أحقية العلويين وهم آل البيت فى خلافة المسلمين لأنهم ورثوا باعتقادهم على النبوة وأسس الحكم وقد أفضت حركة الادارسة الى حركة ذات طابع محدد وأصبح لحكمهم آثار مهمة فى كيان المجتمع، اذ اعتمدوا مثل الإسلام وشريعته ومبادئه وأفكاره قوانين أساسية تنظم حياة المجتمع والفرد وتسيره وتحولت حياة القبائل الى الاستقرار الإجتماعى فى داخل المدن وأسهمت فى التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأحدثت تطورات واضحة فى تقاليدها وعاداتها.

تتميز الحياة الاجتماعية فى مدينة فاس، بعدوتيها، عدوة الاندلسيين وعدوة القرويين، بالاستقرار والأمن وانصراف الناس الى مزاولة أعمالهم فأدى ذلك الى العمران والازدهار وقد جذبت هذه المدينة إليها كثيراً من بطون القبائل والوافدين فأصبحوا من سكنتها ولعل إرساء الحكم على أسس قوية كان يشجع هؤلاء

obeikandi.com

وغيرهم على الاستقرار فى المدينة، فيشير الجزنائى الى ان "استقامة الأمر لإدريس بن إدريس فى المغرب الأقصى، وتوطد ملكه وعظم سلطانه وقوة عسكره جعل وفود الناس إليه من سائر البلدان " [1].

والى جانب القبائل المغربية من زناته وأوربة وصنهاجة وغمارة فقد ضمت فاس نحواً من خمسمائة فارس من افريقية والأندلس وهم من العرب واغلبهم من القيسيين الازد والخزرج ومدلج وبنى يحصب، ويذكر ابن خلدون ان إدريس بن إدريس قد سر بوفادتهم عليه ونزوعهم الى بلاده فأجزل لهم ووصلهم وقربهم منه وجعلهم بطانته واستوزر منهم عمير بن مصعب الازدي الملقب بالملجوم " [2].

وشهدت فاس ازدهاراً فى العمران فى عهد يحيي بن محمد بن إدريس فبنيت فيها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت الأرباض وأسست أم البنين فاطمة بنت محمد الفهرى المسجد الجامع بعدوة القرويين[3] وفى هذا الإطار يلقى الجغرافيون ضوءاً مفيداً على الحياة الاجتماعية فى مدينة فاس فيصفها اليعقوبى "أنها كثيرة العمارة والمنازل" [4] ويشير ابن حوقل الى الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل بين أهل العدوتين "[5] ولعل هذا المؤرخ يشير الى الأحداث والفتن التى وقعت فيها نتيجة تدخل الأغالبة والفاطميين وأمويي الأندلس بشؤونها الداخلية واستعداء السكان بعضهم على بعض والظاهر ان هذا الوضع استمر حتى القرن الخامس الهجرى فيذكر الأدريسى الفتن والمقاتلات بين المدينتين (أى العدوتين) ثم يخلص الى القول "ان أهل مدينتي فاس يقتل فتيانهم بعضهم بعضاً[6] ".

---

[1] زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ص 13.

[2] العبر وديوان المبتدأ والخبر ج4 ص 26، الجزنائي، المصدر نفسه ص 13.

[3] ابن خلدون ن المصدر نفسه ص 29.

[4] كتاب البلدان ص 357.

[5] صورة الأرض ص 90.

[6] نزهة المشتاق ص 75-76.

وقد ضمت مدينة فاس فضلاً عن القبائل الموالية للأدارسة المتحضرين وبعض العرب الوافدين والأفارقة والاندلسيين عدداً من اليهود حتى ان البكرى يؤكد ان "فاس اكسر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها الى جميع الآفاق" [1] وربما ترك هؤلاء اليهود تأثيراتهم الاجتماعية نظراً لدورهم فى الحياة الاقتصادية حيث ان اغلبهم كانوا تجاراً أو أصحاب أموال وعقارات أو مرابين أو كانوا يزاولون أعمالا ومهناً تتصل بالمال والنقود.

ولعلنا نستطيع ان نستنتج مما جاء عند بعض المؤرخين حول قيام إدريس بن عبد الله مؤسس امارة الادارسة بفتح بلاد تامسنا وساله وتاولا وماسه التى كان أكثر سكانها على دين النصرانية واليهودية والمجوسية ان بعض هؤلاء ربما هاجروا الى مدينة فاس واستوطنوها وقد أشار الى ذلك البكرى بقوله: "ان هناك قوماً من قبيلة زراغة يعرفون ببني الخير وقوم زناته يعرفون ببني يرغش كانوا يدينون بالمجوسية والآخر باليهودية وبعضهم بالنصرانية يستوطنون المناطق القريبة من مدينة فاس وقد نزل بنو الخير فى عدوة القرويين وبنو يرغش فى عدوة الاندلسيين " [2] ولكن لا توجد معلومات تشير الى حدوث الفوضى والإضطرابات فى داخل المدينة بسبب تباين الأديان والنزعات ولعل سياسة الادارسة التى كانت تقوم على التسامح من جهة ونشاطهم فى التأثير الإجتماعى والاقتصادي على أهل الذمة ونشر الإسلام بين صفوفهم من جهة أخرى كان عاملاً أساسيا يحول دون ذلك.

لقد أسهمت القبائل المغربية المنضوية تحت نفوذ الادارسة الى جانب الفئات الأخرى من السكان بعد التطورات السياسية والاجتماعية التى شهدتها الإمارة بقسط كبير فى عملية التحولات الاقتصادية وتتضح التأثيرات التى أحدثها هؤلاء

---

[1] المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 115.

[2] المغرب ص 114.

obeikandi.com

فى مجالات الزراعة فيما كانوا يقومون به بتحويل الأراضى والمناطق التى بسطوا عليها سيطرتهم الى أراضى صالحة للزراعة وطالما نسمع عن مزاولة السكان وانصرافهم الى الزراعة والاهتمام بمتطلباتها[1] فيتحدث اليعقوبى عن النهر العظيم الذى يقال له "فاس" وهو اعظم من جميع انهار الأرض"[2] وربما تكمن أهميته فى الاعتماد عليه فى الإرواء الزراعى ويؤكد ابن حوقل "ان هذا النهر كبير غزير المياه"[3] مما ساعد على تحويل منطقة فاس الى أراضى خصبة صالحة للزراعة وتبدو مظاهر الاهتمام بالزراعة فيما كانوا يقوم به الناس من العناية ببساتينهم التى كانت تحوى أنواعاً من الثمر فيقول البكرى فى معرض حديثه عن مدينة فاس "وعلى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمر وجداول الماء تخرق داره"[4] ولعل المعلومات التى جاءت عن اختيار موضع مدينة فاس وتخطيطها وبنائها تفيدنا فى الاستنتاج ان هذه المنطقة كانت منطقة زراعية حيث جاء ان المكان الذى اختير لإقامة المدينة فيه عيون كثيرة تزيد على الستين عيناً وان مياهها تفيض على الأرض فسيحة فتروى الغياض ذات الأشجار الملتفة المطردة العيون والأنهار"[5].

أما فى مجال التجارة فلابد ان يكون لإمارة الادارسة بحكم موقعها فى المغرب الأقصى على طرق القوافل التى كانت تربط فاس بعواصم بلاد المغرب ومنها تاهرت والقيروان وسجلماسة، دور ملموس فى النشاط التجاري حيث كان لها نصيب من تجارة المشرق الإسلامى التى كانت تصل من بغداد والكوفة والبصرة ومن حلب ودمشق وطبرية والفسطاط والإسكندرية. وكذلك لم تعدم وجود صلات

---

[1] م. ن. ص 115.

[2] البلدان ص 357.

[3] صورة الأرض ص 90.

[4] المغرب ص 117.

[5] انظر: د. السيد عبد العزيز سالم، استنتاجه الذى توصل إليه من قراءة بعض النصوص المتعلقة بتأسيس مدينة فاس فى عهد إدريس الثانى (المغرب الكبير ج2 ص 490).

obeikandl.com

تجارية مع إمارات الخوارج فى المغربين الأدنى والأوسط فتشير المصادر الى انتظام سير القوافل بين فاس وسجلماسة حيث كان الطريق ممهداً بين المدينتين ويبدأ من فاس الى صفروى فقلعة مهدى فتاوله ثم الى وادى شعب الصفا ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث تقع مدينة سجلماسة وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق فتخرج من باب الفوارة فى مدينة فاس الى سجلماسة ويؤكد المؤرخون توافد الكثيرين من التجار وطلبة العلم من فاس الى سجلماسة ونشاط التجار المدرارين الواسع فى أسواق فاس[1].

وعلى الرغم من ان معلوماتنا عن السلع والمتاجر التى كانت تصدرها امارة الادارسة الى المراكز التجارية فى المغرب الإسلامى أو عن طريقها الى المشرق الإسلامى نادرة ولكن على ما يبدو ان السلع والبضائع التى كانت ترد الى فاس هى نفسها التى كانت تصدرها تاهرت وسجلماسة والقيروان وأهمها الفستق من مدينة قفصه والسكر والكمون والكراوية والأحذية من سجلماسة وكذلك القمح والكروم والتمر فضلاً عن الثياب والمطرزات القطنية والمنسوجات الحريرية والصوفية والكتانية كما كانت تأتيها القوارير الزجاجية وأوانى الخزف والتحف المعدنية والعطور من تاهرت وذلك على الرغم من ان العلاقات التجارية بين فاس وتاهرت كانت فى نطاق محدود[2].

وتوجد لدينا معلومات قليلة ومشتقة عن عملة الادارسة من الدراهم والدنانير ولكن الأستاذ ليفى بروفنسال يغنى هذه المعلومات ويعززها ببحوثه واستنتاجاته فقد وجد فى المكتبة الأهلية بباريس درهماً ضرب فى مدينة فاس سنة 189هـ، وفى متحف مدينة خاركوف، درهم آخر ضرب فى مدينة فاس سنة 185 هـ كما عثر على عملات يظهر فيها اسم إدريس الثانى ضربت فى مدينتي وليلى وتدغة تحمل التواريخ المتعاقبة لسنوات 181هـ ، 182هـ ، 183 هـ واستنتج كذلك ان

---

[1] ابن أبى زرع الأنيس المطرب ج1 ص 53، الأدريسى، نزهة المشتاق ص 10 الجزنائى، زهرة الآس ص 29 ثم انظر د. محمود اسماعيل، الخوارج فى المغرب ص 208-209.

[2] ابن خلدون، العبر ج4 ص 422، ابن الخطيب، أعمال ص 13.

كذلك ان معظم العملات التى تحمل اسم إدريس بن إدريس ضربت فى مدينة العالية (أى عدوة الاندلسيين) فى سنوات198هـ ،207هـ ،208هـ ،209هـ ،210هـ ،214هـ[1] ويشير ابن خلدون الى ان فاس كانت مركزاً لضرب السكة وصناعتها[2] ولكن من المؤسف لا يوجد لدينا ما يشير الى حجمها وعيارها وقطرها ووزنها وأقيامها.

وهناك إشارات تدل على وجود بعض المظاهر الصناعية فى امارة بنى إدريس فنشاهد على نهر فاس ثلاثة آلاف رحى منصوبة تطحن الحنطة بثمن قليل[3] كما توجد الارحاء لرفع المياه من النهر الى الدور والمساكن أو الى البساتين والأراضى للارواء وان هذه المطاحن والأرحاء كان يشغلها الصناع والمهرة والحرفيون وذلك بقوة جريان الماء وكان اغلب هؤلاء من القرويين أو الاندلسيين اذ تركوا تأثيراتهم فى الحياة الاقتصادية فأنشأوا الأسواق والحوانيت وأقاموا الدور والحوانيت للبيع والشراء كما زاولوا بعض الصناعات المرتبطة بأعمال البناء والعمران.

أما المعلومات التى أوردها الجزنائى فيما يتعلق بوجود صناعة الاطرزة بواسطة أنوال الحياكة التى كانت تعمل النسيج وكذلك صناعة الصابون الذى كان يعد من أهم مستلزمات المدينة وصناعة دباغة الجلود وصناعة تشبيك الحديد والنحاس وصناعة عمل الزجاج وصناعة الورق والطابوق فى مدينة فاس فى عصر دولتي المرابطين والموحدين[4]، أن هذه الصناعات لابد أن تكون استمراراً لما كانت عليه فى عهد الادارسة .

---

[1] الإسلام فى المغرب والأندلس ص 15-19

[2] العبر ص 423.

[3] زهرة الآسى فى بناء مدينة فاس ص 33.

[4] زهرة الآسى فى بناء مدينة فاس ص 33.

(4) الأغالبة / إمارة الأغالبة:

تشكلت امارة الأغالبة فى مناطق المغربين الأدنى والأوسط، وكان بنو الأغلب قد نصبهم العباسيون ولاة شبه مستقلين يحكمون ويحافظون على ممتلكات العباسيين ونفوذهم الروحي والمادي فى تلك المناطق ويقفون ضد توسع الإدارة والخوارج بعد قيام إماراتهم، فشرعت قوانينهم وأنظمتهم وفقاً لذلك ووجهوا جيوشهم لصد الهجمات المحتملة التى قد تقوم بها العناصر المناوئة للخلافة العباسية أو لمبادرتهم بالهجوم على المناطق والأنحاء التى تسيطر عليها تلك العناصر ولكن بعد انتهاء عهد إبراهيم بن الأغلب مؤسس الإمارة وتولى ابنه زيادة الله بدأوا يتجاهلون الى حد ما مخالفتهم للعباسيين خدمة لمصالحهم التى استجدت وذلك نتيجة للظروف والملابسات التى كانت تلف المغرب الإسلامى وبعد ان واجهوا كثيرا من المتغيرات على مدى نصف قرن من بداية تنصيبهم فى المغرب وافريقية ووجودهم منفردين فى الدفاع عن الخلافة العباسية

ويمكن القول، ان الاستقلال المحدود الأفق الذى فوضه الخليفة العباسى هارون الرشيد لإمارة الأغالبة حدوته اشتراطات الضمانات المالية والاستمرار بدفع ما أطلق عليه الجزية السنوية لبيت مال الخلافة والتزام أمراء الأغالبة بتسديد هذه الإعانات وتنفيذ إجراءات الخلافة يحتم على هذه الأخيرة تثبيتهم بولاياتهم وتزويدهم بشعار التقليد والخلع والإعلام مما يجعل حكم الإمارة يتخذ أسلوباً وراثياً فتولاها احد عشر أميرا تميز الأوائل منهم بالقوة والنفوذ مما أتاح لهم الانصراف القيام بالإصلاحات فقد اتخذوا إضافة الى القيروان عاصمة لهم، ومدينة القصر القديم "العباسية" اذ نقلوا إليها بعد اكتمال بنائها سلاحهم وعددهم وسكنوها مع عبيدهم ورجالهم وأصبحت دارهم ومستقرهم[1] وهذا لا يعنى إهمال القيروان فقد غدت لهم حاضرتان تنافسان اجتماعياً وثقافياً.

والظاهر ان اتخاذ بنى الأغلب لحاضرة جديدة، لم يغير فى البناء الإجتماعى لمدينة القيروان حيث لا توجد لدينا معلومات عن هجرة مؤثرة منها الى العباسية

---

[1] ابن الأثير، الكامل ج6 ص 56.

سوى ما وقع اختيارهم على بعض الجماعات والفئات والعناصر التى تؤيدهم سياسيا بل يمكن القول، ان القيروان احتفظت بكيانها الإجتماعى كما زاد فى مكانتها اتخاذها حاضرة للاغالبة ومركزا سياسيا واقتصاديا حتى وصفت أنها "أم أمصار وقاعدة أقطار، وكانت اعظم مدن المغرب قطرا وأكثرها بشراً وأوسعها أحوالاً "[1] .

وحسب المعلومات التى بين أيدينا فان القبائل المغربية لا يشكلون نسبة عالية من السكان لإمارة بنى الأغلب على الرغم من انهم يؤلفون السواد الأعظم من سكان المغرب الإسلامى وإشارة ابن عذارى الى طاعة القبائل المغربية لإبراهيم بن الأغلب[2] تعنى دخول هذه القبائل تحت نفوذه حينا ثم خروجها عليه فى أحيان أخرى مما يجعل استقرارهم الإجتماعى متأثراً الى حد كبير بموقفهم السياسي، ولكن من الملاحظ ان المشارقة هم الأكثرية فى سكان مدينة القيروان.

إن الأغالبة ينتمون الى عرب بنى تميم مما يوفر فرصة لهؤلاء فى ان يحتلوا مكانة لا تدانيها مكانة العناصر والأقوام الأخرى، ثم ان الصراع بين العناصر المؤيدة للاغالبة من عرب المشرق وبين عناصر من قبائل المغرب، اقنع الأغالبة بضرورة الاحتفاظ بعناصر احتياطية فى الجيش يمكن استخدامها عندما تحين معارضة العناصر المعادية أو اندلاع ثوراتهم الذين ذاقوا الأمرين من سياسة الولاة العباسيين القائمة على التمييز والاضطهاد.

غير أن العرب الذين أقاموا فى مدينة بلزمة وبعضهم كان من أعقاب العرب الفاتحين وهم قيسيون وبعضهم الآخر من العرب الشاميين الذين دخلوا البلاد فى الحملات العسكرية التى كانت ترسلها الخلافة العباسية لإخماد حركات المعارضة

---

[1] الأدريسى، نزهة المشتاق ص 110 .

[2] البيان المغرب ج1 ص 92.

ضد الأغالبة الى نكبات أدت الى تصفياتهم[1]، ويشير ابن عذارى الى ان تصفية الجند العرب البلزميين على يد الأغالبة كان من "أسباب انقطاع دولة بنى الأغلب اذ كان أهل بلزمة فى نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين الى افريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس وكانوا يذلون كتامة فلما قتلهم إبراهيم استطالت كتامة ووجدت السبيل للقيام مع الفاطميين ضد بنى الأغلب"[2].

ويبدو ان ما دفع الأغالبة، قتل هؤلاء وغيرهم من عرب تميم الذين كانوا يستقرون فى تونس ويتمتعون بامتيازات كثيرة، انهم كانوا وراء الأحداث السياسية التى كانت تقوم بها عناصر من قبائل المغرب ضد حكم الأغالبة أو تأجيج الأحداث التى كان يقوم بها الخارجون عليهم والتحريض ضدهم وأحيانا الاشتراك معهم أو قيادتهم فى الثورات التى كادت ان تؤدى بكيان إمارتهم[3].

ولعل الجند العرب الذين استكثر منهم الأغالبة فى جيوشهم كانوا يشكلون طبقة متميزة ونظامية وبعضهم كان يستنفر للحرب وهم يحاولون التمويه لمصالحهم وامتيازاتهم فأعلنوا ثوراتهم بوجه الأغالبة وعمالهم فى القيروان والمدن الأخرى[4] واصبحوا خطراً على إمارتهم وبخاصة فى عهد الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب حتى وصل بهم الأمر الى درجة انهم كتبوا إليه ان "ارحل عن افريقية ولك الأمان فى نفسك ومالك فقاتلهم زيادة الله وقضى عليهم"[5] .

---

[1] فى سنة 280هـ استقدم الأغالبة منهم سبعمائة من أبطالهم فى القيروان وابتنيت لهم دارا كبيرة وضعوا فيها ثم قتلوا جميعا (ابن عذارى، البيان ج1 ص 123)

[2] م . ن . ص 124 .

[3] ابن الاثير ، الكامل ج6 ص 104 ، ابن خلدون ، العبر ج4 ص 419 .

[4] من ثورات الجند ثورة عمرو بن معاوية القيسى فى مدينة القصرين سنة 208هـ وثورة منصور الطنبذى بتونس سنة 209هـ وثورة عامر بن نافع فى سبيبة سنة 210هـ والثورات فى مدينة بلزمة وقد اثار قمع الأغالبة لهذه الثورات عرب تميم وعرب الجزيرة والاربس وباجه وقمودة .

[5] ابن عذارى البيان ص 201 .

obeikandi.com

أما الفئة الاجتماعية الأخرى فى امارة بنى الأغلب فهم المشارقة الذين قدموا من خراسان وكان بعضهم جنداً فى الجيش[1] وكان يعيش غالبية هؤلاء المشارقة فى القلاع البيزنطية القديمة فى قابس والقيروان، وبونه وباجه ومجانه أو فى القلاع القديمة بإقليم توميديا الروماني مثل قلاع طبنة وباغاية والاربس[2] وقد ترك هؤلاء تأثيراتهم فى الحياة الاجتماعية وخاصة فى مدينة القيروان حيث كان بعضهم من العلماء والفقهاء أو كانوا من أصحاب الحرف والمهن أو الصنائع.

وهناك الى جانب الجند العرب والقبائل المغربية والمشارقة الروم القدم[3] وهم من أعقاب سكان قرطاجنة وكانوا يقيمون فى القلاع البيزنطية القديمة مثل طبنة وباغاية وفى مدن الجريد الصغيرة التى يبدو إنها اتخذت ملاذاً لغير العرب من أهل البلاد كما أقام بعضهم فى مدينة القيروان باعتبارها حاضرة البلاد وأملاً فى الحصول على فرصة عمل يعيشون منه[4] .

ونقرأ كذلك عن وجود الأفارقة، وهم نصارى من بقايا الفينيقيين واللاتين أقاموا فى إقليم الجريد ومدن قنصة وتوزر ونفطة وتقيوس والجامة واقامت طائفة منهم فى مدينة طبنة ومدينة باغاية وفى السهول الساحلية[5] وقد قامت سياسة بنى التغلب على التسامح معهم وفوتح البعض منهم باعتناق الإسلام فرفض[6] .

ويشكل "العبيد السود" الذين جلبوا من منطقة الصحراء أو من بلاد السودان فئة طارئة على المجتمع وقد اتخذ أمراء الأغالبة بعضهم حرساً لهم آو جنداً كما ان هناك "العبيد البيض" وهم الصقالبة الذين حملوا من صقلية وسردانية وقلورية

---

[1] من المعروف ان القاضى أسد بن الفرات الفقيه الذى قاد الحملة الى صقلية فى عهد الأمير زيادة الله بن إبراهيم كان خراسانياً.

[2] د. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ج2 ص 417 .

[3] اليعقوبى، البلدان ص 135 .

[4] د. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق ص 419 .

[5] م . ن . ص 420 .

[6] ابن عذارى، المصدر السابق ص 122 .

ومالطا وقد سمى هؤلاء بالفتيان ولعبوا دوراً مهماً فى امارة الأغالبة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية [1].

ولعل أهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية فى القيروان خلال هذه الفترة هو الثراء فقد تجمعت لدى السكان الثروة الذهبية التى كان الحصول عليها ميسوراً بواسطة الاتجار وكانت هذه المظاهر واضحة فى الأسرة الحاكمة وفى بعض الفئات الاجتماعية وفى طليعتها فئة التجار كما ظهر ذلك فى بناء المنازل الرفيعة وفى التفنن فى اللباس والمأكل .

وكان المجتمع القيروانى مقسماً إلى فئات اجتماعية على رأسها فئة التجار التى كانت فئة بارزة فى المجتمع ومحظوظة اجتماعيا ويلاحظ أن عدداً من علماء القيروان كانوا من هذه الفئة إذا اشتغلوا فى ميدان التجارة فحازوا على أموال كثيرة. وهناك فئة الجند وفئة العلماء الذين تعرض عدد كبير منهم إلى الاضطهاد نتيجة لمواقفهم فى مسائل تتصل بالدين والحياة العامة وفئة أهل الذمة من اليهود والنصارى التى استقرت فى القيروان والظاهر أن فئة الرقيق أو العبيد كانت تشكل الدعامة الأساسية لإمارة الأغالبة حيث يبرز دورها فى الحياة الاقتصادية فهم القوة المنتجة الأولى[2] ودورها يشبه إلى حد كبير دور طبقة العمال فى الوقت الحاضر. أما الفئة الأكثر عدداً فى مجموع السكان فهم طبقة العامة (الفقراء) أو طبقة

---

[1] كان بعضهم يشرف على دار السكة فسجلت أسماؤهم على العملات كما نقشت أسماء البعض منهم على النقوش التاريخية والمنشآت ومن هذه الأسماء المسجلة: اسم مسرور الخادم مولى الأمير زيادة الله بن إبراهيم واسم خلف الفتى ونصر وفتح الله نقشت جميعها على قبة المحراب بجامع الزيتونة (د. السيد عبد العزيز سالم، المصدر نفسه ص 420)

[2] وقد تعدد اختصاصهم فشمل عمل الجواري فى المنزل للخدمة والرضاعة وتربية الأطفال وشئون الطحن والطبخ وجلب الماء وهناك فئة منهن خصصن للزواج وكذلك فئات الحدادين والنجارين والبناءين وأصحاب المهن والصناعات المختلفة فى أكثر مرافق الحياة العامة (انظر للاستزادة ك د. الحبيب الجنحانى، المغرب الإسلامى ص 92).

السواد وهى تتألف من عناصر العبيد والإجراء أو النازحين من الريف كما ضمت إليها عدداً من النخبة المثقفة وهذه الفئة قد نالها فى عهد الأغالبة من البؤس والحرمان ما جعلها وراء اغلب الانتفاضات السياسية والدينية والحركات الاجتماعية فى القيروان[1] .

أما الأحوال الاقتصادية التى تميزت بها منطقة المغرب الأدنى فى عهد الأغالبة فيزودنا المؤرخ والجغرافي، اليعقوبى بمعلومات مهمة عنها وبخاصة فيما يتعلق بالزراعة والصناعة والتجارة مما يساعدنا على معرفة عوامل الازدهار الإجتماعى والاقتصادي والسياسي الذى اتسم به عهد الأغالبة والظاهر أن قيام إمارة الأغالبة فى هذه المنطقة قد رافقه نوع من الاستقرار السياسي والاجتماعى الذى دفع كثيراً من السكان إلى مزاولة الزراعة والاهتمام بمتطلباتها فظهرت المناطق الزراعية التى حددها اليعقوبى وأهمها المنطقة الواقعة بين قمودة والساحل حيث البساتين والقرى المتصلة ثم منطقة بلاد الجريد جنوب مدينة قمودة ومنطقة بلاد باجة الخصبة إلى الشمال منها[2]. وقد أبدى اليعقوبى دهشته لمظهر الخضرة وكثرة الأشجار فى هذه المناطق وخاصة الأولى منها وأهم أشجارها الزيتون والنخيل والكروم[3] أما المنطقة الأخيرة فكانت متخصصة بزراعة الحبوب وخصوصاً القمح وكذلك الفواكه وقصب السكر واشهر مدن هذه المنطقة هى "جلولا" التى تقع بالقرب من القيروان وأغلب زراعتها قصب السكر الذى كان ينتج بكميات وفيرة[4] ومدينة تونس التى وصفت بأنها أطيب ثمراً وأنقى فاكهة من جميع مداين إفريقية فمن ذلك اللوز الفريك والرمان الضعيف والاترج الجليل والتين الجارمى والسفرجل

---

[1] المصدر نفسه ص 85-94.

[2] البلدان ص 349.

[3] م. ن. ص 350.

[4] البكرى، المغرب ص40.

المتناهي والعناب الرفيع والبصل القلورى[1] ومدينة قنصة التى كانت أكثر بلاد المغرب فستقاً ثمرها مثل بيض الحمام وفيها أنواع الفواكه والثمر[2] .

وهكذا أصبحت الزراعة من الضرورات التى تتطلبها الحياة الاقتصادية فى المغرب الأدنى فالمحصولات الزراعية والغذائية مثل الحبوب والثمار والكروم والزيتون والتمور وغيرها كانت سلعاً للتجارتين الداخلية والخارجية وليس أول على ذلك من المعلومات والإشارات التى جاءت عند بعض المؤرخين[3] والجغرافيين والبلدانيين[4] .

كما نقرأ عن وجود بعض الصناعات المتقدمة فى منطقة المغرب الأدنى التى تبسط إمارة الأغالبة سيطرتها عليها، منها صناعة السفن فى تونس حيث استمرت دار الصناعة التى أمر بإنشائها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان لغرض تكوين أسطول بحري دفاعي لمواجهة الأخطار المتأتية من الإمبراطورية البيزنطية وقد استعين بأقباط مصر الذين كانوا يمتلكون الخبرة والدراية فى صناعة السفن[5] وقد

---

[1] م. ن. ص41.

[2] م. ن. ص47.

[3] ابن عذارى، البيان المغرب، ابن الأثير، الكامل ابن خلدون، العبر، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المقرى، نفح الطيب.

[4] اليعقوبى، البلدان، ابن حوقل، صورة الأرض، الأصطخرى، المالك والممالك البكرى، المغرب فى بلاد افريقية والمغرب، المقدس، أحسن التقاسيم.

[5] يذكر البكرى بناء المسلمين للسفن فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى مدينة تونس (ترشيش) فقد كتب الخليفة الى أخيه عبد العزيز وكان واليا على مصر حنذاك ان يوجه الى معسكر تونس ألف قبطي من أقباط مصر بأهلهم وأولادهم ويوصلهم الى تونس وكتب الى حسان بن النعمان يأمره ان يبنى لهم دار الصناعة لتكون قوة وعدة للمسلمين الى آخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويجاهد الروم فى البر والبحر وان يغار منها على ساحل الروم فيشغلوا عن القيروان نظرا للمسلمين وتحصينا لشأنهم فوصل القبط الى حسان بن النعمان وهو مقيم بتونس فأجر البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة وأمر القبط بعمارتها فى المغرب (ص38-39).

تطورت هذه الدار وتوسعت فى صنع المراكب العسكرية التى استخدمت فى التوسع البحري[1].

والى جانب دار الصناعة فى تونس وقعت الإشادة إلى قيام صناعة الآلات الحديدية اللازمة لصناعة السفن التى كانت تعتمد على الحديد الذى كان يجلب من مناطق استخراجه فى مدينة مجانة[2] أما دار الصناعة فى مدينة سوسة فلا يقدم لنا البكرى تفصيلات كثيرة عنها سوى إنها كانت لتصليح السفن أو كانت مرفأ لرسو المراكب والسفن الحربية والتجارية للتأكد من صلاحيتها لركوب البحر[3] .

وكذلك نسمع عن صناعات كانت تقوم على الحديد مثل صناعة السيوف ولحم الخيل والآلات والعدد الحديدية المرتبطة بالبناء والعمران مثل أبواب الدور والمنازل والمنشآت والقصور والمساجد وأبواب الأسوار والحصون والمحارس والخانات وآلات القطع والحفر وبعض أنواع من الأسلحة. والظاهر أن المحفز لهذه الصناعات وغيرها توفر الحديد والفضة والكحل والزنك والرصاص[4] حيث قامت صناعات مختلفة مثل صناعة التحف الذهبية والفضية والنحاسية إذ اقتنى منها الأمراء والوجهاء فى قصورهم وبخاصة التحف والسروج المفضضة واللجم المذهبة والسيوف المحلاة وصفوف الآنية من الذهب والفضة[5] .

أما صناعة الزجاج الذى كان مظهراً من مظاهر المدنية ومستلزماتها فهناك ما يشير إلى وجودها فى مدينة القيروان، وينهض حي الزجاجين فى المدينة دليلا على ازدهار هذه الصناعة وكذلك صناعة الخزف المتأثرة بالتقاليد العراقية

---

[1] ومنها الاستيلاء على جزيرة صقلية حيث اصبحت جزءا من البلاد الإسلامية فى عهد الأمير زيادة الله إبراهيم بن الأغلب.

[2] اليعقوبى، المصدر السابق ص 349.

[3] المغرب ص 34.

[4] اليعقوبى، المصدر نفسه ص 350.

[5] ابن عذارى ن المصدر السابق ص 138، 148.

والمشرقية، حيث كان الصناع العراقيون يستخدمون لتزيينه واجهات محاريب المساجد وأبواب القصور بزخارف التربيعات الخزفية ذات البريق المعدنى[1].

وكان لمدينة القيروان تراثها فى صناعة المنسوجات الحريرية الرفيعة والثياب[2]. كما إن الحياكة فى مدينة سوسة كانت كثيرة، وكان يغزل بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من الذهب، وكانت منتوجات مدينة القيروان من المنسوجات ترسل إليها لإجراء عملية القصر وجعلها ناصعة البياض[3] ، وعرفت مدينة طرافى بنوع من الألبسة تسمى "الكساء الطرافى"[4] وهناك صناعة السجاد المحلية التى اشتهرت بها القيروان وبعض المدن الأخرى حيث كانت هذه الصناعة استمرار منذ العهد الرومانى .

ومن الصناعات المتخصصة التى كانت تعتمد على الإنتاج الزراعى صناعتان أولاهما صناعة زيت الزيتون يستخرج من الزيتون الذى كان ينتج فى المناطق الساحلية وفى الأقاليم الزراعية، يوضح البكرى إن أشجار الزيتون والنخيل تغطى السهول الرملية (بالقرب من مدينة صفاقس الحالية) ففى هذه المنطقة الساحلية بساتين وقرى متصلة كل منها تضم معصرة للزيت[5] . أما الصناعة الثانية فهى صناعة النبيذ أو الشراب باستخلاصه من الكروم التى تكثر زراعتها جنوب إقليم قمورة وقسطيطنية [6]، فضلاً عن صناعة السكر من القصب الذى تنتجه مدينة

---

[1] البكرى، المصدر السابق ص 35 .

[2] م.ن. ص 36 .

[3] م.ن.ص 37 .

[4] م . ن. ص 47

[5] م . ن. ص 24، 26 .

[6] وكان أمراء الأغالبة يدمنون على شرابه ومنهم محمد بن الأغلب بن إبراهيم وزيادة الله بن عبد الله .

جلولا وإنتاج العسل الجيد ، وإنفراد تونس بصناعة آنية الماء من الخزف التى كانت تعرف بالريحية[1] .

أما صناعة السكة والنقود، فقد ارتقت فى عهد الأغالبة، وكانت تضرب فى دار الضرب أو دار السكة فى القيروان وفى العباسية، ويلاحظ أن الدنانير الذهبية حافظت على وزنها وحجمها وعيارها طوال عهد الأغالبة، أما الدراهم الفضية فكانت تضرب صحاحاً أو أجزاءاً من قطع معدنية صغيرة [2] .

وتشكل التجارة فى الأجزاء التى تهيمن عليها إمارة الأغالبة من المغرب الأدنى، حجر الزاوية فى النشاط الاقتصادى فقد كانت القيروان مركزاً للتجارة العالمية ونقطة لقاء بين المغرب والمشرق الاسلاميين من جهة وبين التجارة (المتوسطية)* وقوافل التجارة الصحراوية من جهة أخرى[3] حيث استقبلت قوافل التجارة من سائر أنحاء المغرب ومن مراكزها فى تاهرت ومجلماسة وفاس وقرطبة واودغست فضلاً عن بلاد المشرق الاسلامى وبلاد السودان . ولم تكن العلاقات السياسية غير الودية بين هذه الدول والإمارات، لتحول دون توطيد صلاتها التجارية، فمن جهة ترتبط القيروان بخط سير القوافل الخارجة من تاهرت إلى القيروان وهاز والمسيلة وأدنة وطبنة وباغاية ومجانة وسبيبة[4] كما يربطها خط آخر يخرج من سجلماسة إلى تاهرت ثم إلى القيروان[5]. أما التجارة التى كانت تحصل عليها إمارتا الخوارج الرستميون والمدراريون وإمارة الأدارسة، من الأندلس، فينقلها التجار إلى القيروان بواسطة القوافل التى اعتادت السير على الطرق المعتادة، ومن جهة كافية، فان نصيب القيروان ومدن المغرب الأدنى

---

[1] وهى شديدة البياض ورقيقة وشفافة ليس لها نظير فى جميع الأقطار وعامة الأمصار (م . ن . ص 41).

[2] ابن عذارى، البيان ج1 ص 120-121.

* منحوتة نسبة للبحر المتوسط (بحر الروم).

[3] د. الحبيب الجنمانى، المصدر السابق ص 61.

[4] البكرى، المصدر السابق ص 143-146.

[5] الأصطخرى، المالك والممالك ص 37، 38.

الأخرى كبير فى تجارة المشرق التى تأتى من بغداد والبصرة فضلاً عن توطد الصلات التجارية بين بغداد وحاضرة العباسيين وإمارة الأغالبة، تلك العملات التى كانت تعكسها علاقات التحالف بين الطرفين وتجنى القيروان من التجارة الخارجية بكونها احدى مراكزها، بصناعات وسلعاً كثيرة، فتحصل من سجلماسة على السكر والكمون والكراوية والأحذية وعن طريق تاهرت وسجلماسة تحصل على السلع السودانية التى كانت تزداد أهميتها على البضائع والمواد الأخرى، أما الثياب القطنية والكتانية والحريرية والأنسجة المطرزة فكانت تفد إليها من قرطبة التى نالت فيها شهرة واسعة [1].

والظاهر أن تجار القيروان، كانوا نشطين فى نقل تجاراتهم بين مراكز التجارة فى العالم الاسلامى ، فكانوا يختلفون إلى عواصم دول المغرب ومراكزه التجارية المهمة فضلاً عن بغداد ومدن المشرق ، ويشير ابن الصغير المالكمية إلى حرية المتاجرة التى كان يخطى بها تجار القيروان فى أسواق تاهرت ، حيث كانوا يفدون إليها بأعداد كثيرة [2] .

ونذكر البضائع والسلع التى كانت تصدرها القيروان وأهمها الزيتون وزيت الزيتون والآلات المصنعة من الذهب والفضة والسيوف ولحم الخيل وبعض المنسوجات السوسية والسجاد والنبيذ والآلات الحديدية المستخدمة فى صناعة السفن والمراكب ولكن التجارة التقليدية للتجار القيروانيين هى تصدير فستق مدينة قنصة الذى ينتشر بأفريقية ويحمل إلى مصر والأندلس وسجلماسة وأثواب مدينة طراف [3] وتمور مدينة توزر، وتتسرب تجارة هذه السلع إما براً أو بحراً[4] عن طريق موانى تونس وسوسة اللتان تمتلكان مراسى كبيرة على ساحل البحر أما فى نطاق التجارة المحلية، فيسود نشاط فى تبادل المحصولات الزراعية وبعض

---

[1] الحميرى، صفة جزيرة الاندلس ص 21.

[2] أخبار الأئمة الرستميين ص 13.

[3] والملاحظ ان الكساء الطرافى كانت تختص به التجارة الى مصر (البكرى، المصدر السابق ص 47).

[4] البكرى، المصدر نفسه ص 34 .

المصنوعات المحلية ويشير البكرى إلى تزويد مدينة جلولا لمدينة القيروان بقصب السكر وأحمال كثيرة من الفواكه والبقول[1] ومدينة سوسة بكثير من الأمتعة والتمر واللحوم والفواكه[2] ومدينة قنصة بالتمر وأنواع الفواكه والثمر[3].

وتعكس أسواق القيروان وأسواق المدن الأخرى، صورة عن النشاط التجارى الذى يسود فى إمارة الأغالبة وعن حركة التطور العمرانى فى منطقة المغرب الأدنى ومن أسواق القيروان، السوق الكبير الذى يسمى "سماط القيروان" وسوق البزازين وسوق السراجين وسوق الضرب وسوق الجزارين وسوق الزجاجين وسوق النحاسين وسوق القطانين وسوق الدجاج وسوق الغزل وسوق الخرازين وسوق الأحد وحوانيت الرهادنة [4].

وهكذا يبدو التأثير الذى تركه الأغالبة فى الحضارة العربية الإسلامية واضحاً وجلياً فيما خلفوه من معالم حضارية فكرية ومادية، وقد لعبت القيروان التى اتخذوها حاضرة ملكهم دوراً أساسياً فى ترسيخ المفاهيم الحضارية وغدت مركزاً مشعاً من مراكز العلم والثقافة والاقتصاد والتطور الإجتماعى فضلاً عن كونها دائرة لسياستهم وقاعدة لجيوشهم وقوتهم العسكرية، لقد واصلوا الاهتمام بإنشاء المدن التى أصبحت محطات علمية، كما أنشأوا العمائر الكبرى التى احتلت مكانة بارزة فى تاريخ الحضارة الإسلامية مثل المسجد الجامع فى القيروان وجامع الزيتونة فى تونس والمسجد الجامع فى سوسة وحصنوا المدن وأقاموا لها الأسوار وحفروا المواجل وأسسوا نواة الأسطول الإسلامى.

لقد قدم الأغالبة صورة واضحة عن الاستقلال الذاتي وعن ارتباطهم بسياسة التحالف المرنة مع الخلافة العباسية التى كانت تقوم على إدراك لطبيعة ظروف المغرب الإسلامى فعملوا فى إطارها ببعد سياسى فترسخت إمارتهم وتدعمت أركانها وتوطد حكمهم.

---

[1] البكرى، المصدر السابق ص 32 .

[2] م . ن. ص 34-35 .

[3] م.ن .ص 47 .

[4] د. الحبيب الجنحمانى، المصدر السابق ص 67-68 .

(5) الدولـة الفاطميـة:

قامت الدولة الفاطمية على أنقاض بعض الإمارات والـدويلات فـى منـاطق المغربين الأوسط والأقصى، وقد أفاد الفاطميون من نظمها ورسومها وذلـك بعـد قيام دولتهم، وكان عبيد الله المهدي اتخذ الإجراءات التى تضمن توطيـد سـلطته السياسية والإدارية ومنها تلقبه "أمير المؤمنين" وهو لقب الخلفاء العباسيين دون غيرهم، وتعيين بعض رجاله فى مناصب مهمـة فـى الدولـة مثـل المشـرفين والمنظمين لبيت المال وتسمية القضاة للقيروان ورقادة وجعل القضاء مستقلاً عن سلطته ونفوذه وتنظيم ديوان الكتابة والرسائل وديوان الخراج وديـوان الحجابـة وتعيين العمال والولاة والجباة والسعاة فى عموم منطقة دولـة الفـاطميين وفـى منطقة قابس وتقييد الموالى وأبناء العبيد وأمثالهم فى ديوان العطاء واسـتحداث الدور لضرب النقود والسكة.

ويبدو أن عبيد الله المهدي قد استأثر بما يطلق عليـه فـى الوقـت الحاضـر بالسلطة المطلقة فى الحكم، فسعى إلى تجريد أبى عبد الله قائد جيوشه ومؤسـس الحركة الفاطمية من سلطاته وإبعاد رجاله عنه ثم الإجهاز بتصفيته مبرراً ذلك بانه كان يسعى إلى إفساد هيبة الإمام المعصوم وهيبة الدولة والإحاطة به، كما جـرد بعض بطون كتامة ممن عهد إليهم وظائف فى الجيش والدولة من مناصبهم.

ويمكن القول أن عبيد الله المهدي، استطاع أن يحول الحركة الفاطمية من دعوة سرية إلى نظام دولة تقليدية مستقرة لها رئيس وموظفـون رسـميون وتقاليـد ورسوم وأنظمة وبخاصة فيما يتعلق بالنواحى الإدارية، حيث عهد إلى أنصاره من القبائل أن تقوم بالمحافظة على استتباب الأمن والقضاء على الاضطرابات وتحقيق الاستقرار كل فى منطقته وذلك من خلال تولى مناصب القضاء وتنظيم الـدواوين والحياة الاجتماعية والاقتصادية بتعيين المحتسبيين والجباة والمحصلين ومراقبـة الأسواق والإشراف على الباعة وأصحاب العتياريات.

وعلى الرغم من أن التنظيمات الاجتماعية فى القيروان هى استمرار لما كانت عليه الحال فى عهد الأغالبة الرستميين والمدراريين، غير إن هناك بعض التطورات بعد استحداث مدينة المهدية، فقد ظهرت فيها طبقة جديدة حاكمة كونتها قبيلة كتامة من مئات من بطون قبائل عجيسة وزواوة وزويلة حيث كانت تنتقل بين المهدية ومدينة زويلة. ونقرأ عن تميز المهدية بالقصور والمنشآت التى زودت بالمواجل وصهاريج المياه والاهراء وتحصينها بأسوار منيعة لها أبواب حديدية، كما عمرت بالأسواق والأرباض والحمامات والفنادق وكذلك مدينة المسيلة أو المحمدية التى جعلها الفاطميون مأوى للنازحين من الأندلس لأغراض سياسية واجتماعية.

أما المدن والمناطق التى كان ورثها الفاطميون عن الأغالبة وأهمها رقادة وتونس وقرطاجنة وطرابلس وتنس وبرقة، فقد تحركت لتتخذها بطون قبيلة كتامة وبعض القبائل الأخرى المناصرة لهم موطناً لها "فبنيت فيها القصور والبيوت والمنشآت وعمرتها فكانت لها فيها أهل وذرية وجماعة"[1] .

وكان الفاطميون وجهوا اهتمامهم لإنعاش الحياة الاقتصادية، فلم يكد يتم لهم الاستيلاء على أجزاء من المغرب الأدنى وبعض المغربين الأوسط والأقصى حتى استطاعوا أن ينشروا الثراء والرخاء بين رعاياهم لأنهم وطدوا أنفسهم على خلق حضارة تنافس حضارة العباسيين، بل ينبغى أن تتفوق عليها فى جميع الميادين وخلال حكمهم للمغرب نقرأ كثيراً من النصوص التى تقدم صورة جلية عن هذا الرخاء والغنى الذى كان عليه الناس والذى تجسد فيما بعد فى الازدهار الزراعى ونظم الري والنشاط التجاري وقيام الصناعات وتعددها واستقرار النظام النقدى وليس أول على أهمية الأحوال المالية لدى الفاطميين من توليه عبيد الله المهدي فى بداية تأسيس الدولة وقيامها لأبى جعفر الخزرى على بيت المال وأبى القاسم

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق ص 167.

بن القديم لديوان الخراج ولبى بكر الفيلسوف المعروف بـابن العمـودي لـديوان السكة ولعبودى بن حباسة لديوان العطاء[1] .

وفى نطاق النشاط التجاري، فقد ورث الفاطميون عن الأغالبة أسس هذا النشاط وتقاليده ومؤسساته فى بلاد المغرب، فقد آلت إليهم القيروان التى كانـت مركـزاً للتجارة العالمية ونقطة التقاء للطرق التجارية الداخليـة والخارجيـة إلـى بـلاد المشرق والأندلس، كما ورثوا موانى تنس وسوسة اللتان كانتا ترتبطان بعلاقـات تجارية بحرية مع موانى الأندلس والإسكندرية وكذلك ما ورثه الفـاطميون مـن أساطيل بحرية تجارية عن الأغالبة حيث أصبحت من ممتلكاتهم.

ويصح القول أن النشاط التجاري لمدينة القيروان والمراكز التجاريـة الأخـرى خلال العهد الفاطمي فى المغرب هو استمرار لما كان عليه فى أواخر عهد الأغالبة مع بعض الفروق التى يمكن القول بازدياد هذا النشاط وتوسع المراكز الاقتصادية وتوطد العلاقات التجارية بعد أن أسس الفاطميون مدينة المهدية فأصبحت ميناءا وقاعدة لتجارتهم مع الأسكندرية وبلاد الشام والعراق وصقلية والأندلس[2].

وأخيراً فلا غرابة إذا ما أدركنا عمق التأثيرات التى تركهـا الفـاطميون مـن جوانبها الاجتماعية والاقتصادية، فقيام الدولة الفاطمية فى المغرب وانتقالها إلـى مصر هو أهم الأحداث السياسية فى القرن الرابع البحرى حيث أمتد سلطانهم على معظم بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية وكان لهم دعاة منبثـون فى كل صقع وناحية[3].

---

[1] ناصر خسرو ، سفرنامه ص 77 ، 79 ، 91 ، 103 .

[2] قال البكرى، انها مرفأ لسفن الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس ومرساها منقور فى حجـر صـلد يسع ثلاثين مركباً على طرفى المرسى (المغرب ص 30) .

[3] ابن النديم، الفهرست ص 189.

obeikandl.com

(6) دولة المرابطين:

اقترن قيام دولة المرابطين فى المغرب بتأسيس مدينة مراكش عاصمة لها فقد أصبحت مركزاً سياسياً ولعبت دورها فى توجيه الأحداث السياسية، والظاهر من نظم المرابطين وتقاليدهم ورسومهم هى استمرار لما كانت عليه فى الدول والإمارات التى فوض المرابطون أركانها، فلم يكن غريباً أن نرى المرابطين بعد تولى على بن يوسف بن تاشفين يشيدون إمبراطورية كبرى تستند إلى أنظمة وقوانين، استطاعت أن تشرعها أو تستمدها من شرائع كانت سائدة فى المنطقة.

ونلاحظ بعد ظهور مراكش والمدن الأخرى التى أسسها المرابطون، بدأت تظهر صورة الحياة الاجتماعية المدينة، اذ تبدلت حياة أغلب القبائل التى كان معظمها منتقلاً إلى حياة مستقرة وذلك بعد أن وضع المرابطون الأساس لحركات إصلاحية بين القبائل والبطون وذلك بتشجيعها على الإقامة فى المدن و الحواضر وبخاصة بعد أن تحولت حركتهم الدينية إلى حركة سياسية، كما عنى المرابطون بإدخال الإصلاحات والتعمير للمدن وبذلك فهم يقدمون صورة واضحة عن اهتماماتهم فى الانتقال إلى أساليب جديدة فى الحياة الاجتماعية والمدنية، فيشير ابن أبى زرع إلى احتلال يوسف بن تاشفين مدينة فاس فبادر إلى تحصينها وتهديم ما يفصل بين المدينتين بحيث جعلها مدينة واحدة ثم سورها وشرع فى إبتناء المساجد فى احوازها وأزقتها وشوراعها فإذا اكتشف زقاقا لا يقوم فيه مسجد عاقب أهله، وبنى فيها الحمامات والفنادق والأرجاء وأصلح أسواقها[1].

لقد كان للمرابطين الفضل فى قيام تجمعات عمرانية مهمة مثل مكناس وتلمسان ومراكش وبمرور الزمن اكتسبت أهمية اقتصادية كبيرة، حيث أصبحت مراكز تجارية تربط بلاد المغرب بالأندلس من جهة وبلاد المغرب والأندلس بالمشرق الإسلامى من جهة أخرى وكانت مدينة مراكش تضم عناصر مختلفة من القبائل المغربية والسودانيين الأندلسيين وقد ازدادت نفوسها فى عهد على بن يوسف بن

---

[1] الانيس المطرب بروض القرطاس ص 91 ثم انظر: ابن خلدون ، العبرج6 ص 380 . د. السيد عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ص 701 .

تاشفين، حتى أن سليمان عبد الغنى مالكه لا يبالغ كثيراً فى أن عدد سكانها قد بلغ نحو المليون[1] وعلى الرغم من أن قبائل صنهاجة وهم لمتونة وجدالة وسوفة ولمطة يشكلون الغالبية فى عدد السكان ولكن العرب المشارقة تزايد وجودهم فى هذا العهد حتى أقيمت لهم جامعة قوية فى تلمسان تتحكم فى الطريق إلى المغرب الأقصى، ومهما يكن من أمر فإن الاستقرار والازدهار الاقتصادى أدى إلى نمو سكان العاصمة مراكش حتى أنها احتوت على مائة قبيلة[2] .

ومن المفيد أن نشير إلى انقسام مجتمع مدينة مراكش فى عهد المرابطين اللى فئات ثلاث رئيسية، الفئة الأدنى التى انحصرت فيها السلطة وتتمثل فى يوسف بن تاشفين وأولاده وأحفاده من بعده وقد تمتعت هذه الفئة بالرئاسة والسيادة ليس فى مجتمع مدينة مراكش، بل فى جميع المجتمع المغربي واستأثرت قبيلة لمتونة بالمناصب المهمة بالمدينة فاكتسبوا الأموال وحازوا رقاب الرجال وكثروا فى كل مكان وساعدهم الوقت والزمان[3].

والفئة الأخرى تتمثل فى "الكانة" التى نسميها المصادر "العامة" وهم من أهل المدن والحواضر. أما الفئة الثالثة فهى المتفرقة من القبائل الضاعنة والمتجولة فى خارج المدن ومضارب البراري والصحراء.

وظهرت المرأة فى الحياة الاجتماعية فى دولة المرابطين، وكانت السيدة زينب زوجة يوسف بن تاشفين تتمتع بمكانة عظيمة وتشترك فى شئون الدولة المختلفة كما برزت تميمة بنت يوسف بن تاشفين طالبة للعلم وحافظة للشعر وقد اتخذت الكتاب وظهرت أمامهم فى غير حياء ولا خجل [4].

---

[1] بحثه الموسوم، بعض ملامح الحياة الاجتماعية فى مدينة مراكش فى عصر المرابطين والموحدين ، مجلة الداره / العدد الثالث / السنة الثامنة عشر 1986 / ص 176 .

[2] م . ن . ص 180.

[3] م. ن . ص 177 نقلاً عن ابن عذارى، البيان المغرب ج 4 ص 25 .

[4] ابن عذارى، البيان ص 26 .

وكان المرابطون يعيرون اهتماماً بسبل الحياة لسكان المدن، بتوفير المياه اللازمة للشرب والدواب فاحتفروا الآبار وانشأوا الصهاريج الكبيرة وعملوا السقايات واستغلوا مياه العيون كما شقوا الطرق وعبروها وبنوا القصور للأمراء وكبار رجال الدولة [1]، إلى جانب ذلك فقد حرص المرابطون على عقد مجالس العلم يحضرها الأمراء والعلماء والأدباء ورجال الدولة ، كما أوجدوا مجالس لبحث مشكلات الدولة والحياة الاجتماعية التى يواجهها الناس، وهناك أيضاً مجالس الوعظ والمجالس العامة التى كان يعقدها الأمراء وكبار رجال الدولة فى قصورهم ويحضرها الأدباء والشعراء وكان للفقهاء والعلماء، المكانة الخاصة لدى أمراء المرابطين حيث جعلوا منهم فئة مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة وأصبح لهم دور بارز فى الحياة السياسية والاجتماعية العامة وسيطروا سيطرة تامة على مقاليد الأمور، وهذا يعكس صورة الحياة الاجتماعية لهذه الفئة المهمة فى المجتمع المرابطي.

أما عناصر السكان من غير المسلمين فى دولة المرابطين، فهناك جماعات متفرقة من النصارى واليهود فى بلاد المغرب، وقد عاشوا فى ظل التسامح الديني يباشرون أعمالهم المختلفة وخاصة فى مجال التجارة والصناعة، والظاهر أن المرابطين لم يتعرضوا لهم ولطقوسهم وحرياتهم الدينية لسوء فيما عدا بعض الحالات التى أساء فيها هؤلاء تصرفاتهم فصب عليهم المرابطون جام غضبهم فعاقبوهم واخذوا العهود منهم [2].

إن الاهتمام الذى كان يوليه المرابطون فى إصلاح أسواق المدن، يدل على تنشيطهم للحياة الاقتصادية ووضع الأساس لها، فقد وصف الأدريسى مراكش فى

---

[1] ولعل هناك بعض النسوة كن يرفعن الحجاب عن وجوههن فى الطرقات العامة أو فى الأسواق وقد ذكر النويرى ما يشير الى ان محمد بن تومرت .

[2] كان على بن يوسف بن تاشفين يتخذ بين حين وآخر إجراءات إخراج اليهود من مراكش ليلا فيما يسمح لهم بالعمل بها نهارا وذلك لانه كان يخشى ان يغدروا بالمسلمين (سليمان عبد الغنى مالكه ، المصدر السابق ص 182) .

عهد المرابطين بان وأسواقها مختلفة وسلعها نافقة [1] مما يوضح لنا النشاط التجارى فى دولة المرابطين، كما قامت فى المدن الجديدة التى أسسها المرابطون وكذلك فى المدن التى وقعت فى مناطق نفوذهم صناعات أصبحت بضائع تجارية ينقلها التجار إلى الآفاق وكانت الأعمال التجارية فى مراكش قد انقسمت إلى قسمين، التجار الذين اختصوا بالتجارة الخارجية وكانوا يستوردون إن يصدرون إلى الدول والأقاليم المجاورة والبعيدة مختلف أنواع السلع والبضائع وتجار التجزئة الذين كانوا يبيعونه بضائعهم فى متاجرهم وحوانيتهم وقد زادت أهمية التجار والتجارة باحتلال مراكش مكانتها فى بلاد المغرب الأقصى[2].

أما نقود المرابطين وسكتهم، فقد أكد ابن عذارى، انه فى سنة 464 هـ، ضرب الأمير يوسف بن تاشفين، السكة بدراهم مدورة زنة الدرهم منها، درهم وربع من الفضة سكة من حساب عشرين درهماً للأوقية، وهو الدرهم الجوهري المعلوم فى تلك الحقبة، كما ضرب أيضاً الدينار الذهبي باسم الأمير أبى بكر بن عمر وذلك فى دار السكة فى مدينة مراكش[3] .

وقد كانوا سعوا إلى هذا الإجراء حالما أتموا بناء مراكش وأقاموا دار السكة فضربت فيها دراهم فضية ودنانير ذهبية، يبدو إن المرابطين كانوا يبذلون محاولاتهم لكى يرفعوا من قيمة نقودهم فيزيدون وزنها وعيارها ويتجملون فى حجمها لكى يجعلوها عملة مطلوبة تفرض وجودها وتضاهى العملات فى البلاد الإسلامية الأخرى.

أما الروايات التى يسوقها بعض المؤرخين والكتاب التى تغزو سبب خروج المرابطين من الصحراء يرجع إلى عوامل اقتصادية تقوم على رغبة المرابطين فى

---

[1] نزهة المشتاق ص 55 .

[2] وجد اسم تاجر من الأسكندرية مات فى ميناء المرية الاندلسي سنة 519 هـ حيث كانت الأندلس تحت نفوذ المرابطين، وكان منقوشا على احد قبور المدينة ما يدل على انه مات أثناء سفره وهو ينقل تجارة من الأقمشة الفاخرة ذات الشهرة العالمية (د.حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ج4 ص 409)

[3] البيان المغرب ج4 ص 131.

التحكم فى طرق التجارة الشمالية والتمتع بأراضي المغرب الخصبة، فان اغلبها صحيحة إلى حد ما وذلك إلى جانب العوامل الأخرى وذلك على الرغم من أن الطريق التجاري الصحراوى الممتد بين اودغست جنوباً وسجلماسة شمالاً، كان طريقاً معروفاً منذ القديم، وكذلك كانت قبائل صنهاجة التى حملت راية المرابطين ودعوتهم تعيش فى مناطقها الصحراوية وتقاسى أهوال الجدب والقحط[1].

(7) دولة الموحدين:

قامت فكرة الموحدين لتأسيس دولتهم السياسية على مبدأ "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" ووجوب الاعتماد فى استقاء الأحكام على القرآن والسنة بإعتبارهما شريعة المجتمع دون غيرهما وموافقة آراء أبى الحسن الأشعرى "مذهب الاشعرية" سوى مسألة الصفات فأنهم وافقوا المعتزلة فى نفيها.

وضمن هذه التوجهات، فقد خالفوا المرابطين فى آرائهم لتولى أمر الحكم فى الدولة السياسية وتنظيماتها الإدارية والعسكرية، ولكنهم قطعاً قد أفادوا كثيراً مما كانت عليه الدول والإمارات السالفة عليهم فى بلاد المغرب من رسوم وقوانين وضعية مع التمسك بما يرون أحقيتهم فى الخلافة دون غيرهم من المسلمين لأنهم – على حذر عمهم – من أكثر المسلمين إيمانا وأصحهم مذهبا، مما جعل علاقاتهم بالخلافة العباسية متردية لتجاوزهم على سلفتها الروحية التى تحكم العالم الإسلامى فضلاً عما عرفوا به من تنظيمات خاصة بهم، فقد رتبوا مؤسسة السلطة السياسية على شكل هرمي يبدأ بالقمة التى يمثلها أهل العشرة وفى مقدمتهم محمد بن تومرة ثم أهل الخمسين ويليهم أهل السبعين ثم المائة وأخرهم أهل الألف. وهذه الطبقات مؤلفة من رجال القبائل والعناصر والأقوام التى انضوت تحت سلطانهم وكان لهذا التأليف الهرمي فى السلطة شروط وقوانين وأحكام تحدده. وكان لأهل العشرة أو لأصحاب العشرة السلطة المطلقة فى تصريف شئون الدولة

---

[1] د. حسن إبراهيم حسن ، المصدر السابق ص 415 ، د. احمد مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس ص 276، سليمان عبد الغنى مالكة، المصدر السابق ص 181.

والجيش والرعية، فمنهم الخلفاء والأمراء والقادة وأصحاب الدواوين وكبار الموظفين، ولم يكن للفقهاء والعلماء ذلك الدور البارز فى رسم سياسة الدولة والسيطرة على مقدرتها ومقاليد الأمور فيها كما كان الحال عليه أيام دولة المرابطين.

شهدت مراكش فى عهد الموحدين تقدماً، فقد اهتموا بها أقاموا فيها كثيراً من المنشآت وقصدها الناس من كل مكان حتى اكتظت المدينة بسكانها واضطر خلفاء الموحدين على توسيعها فضمت عناصر سكانية متباينة وفى مقدمتها القبائل المغربية الموالية وهى العناصر الغالبة فى سكان المدينة، وكانت قبيلة المصاعدة التى قامت على أكتافها دولة الموحدين، تستأثر بالنفوذ الاجتماعي والسياسي فى المدينة لأنها كانت من اكبر قبائل المغرب وقد احتلت مركز الصدارة فى المغرب الأقصى وأصبحت لهم منزلة كبيرة لدى الموحدين ويأتي العرب المشارقة ليمثلوا العنصر الثانى من السكان، وقد بدأت صلة الموحدين بهؤلاء منذ عهد الخليفة عبد المؤمن بن على، حين أذاع بين الناس نسبة العربى[1]. وقد حرص الموحدون على تشجيع هؤلاء للهجرة من أفريقيا إلى المغرب الأقصى فاستقر كثير منهم حول مراكش وشاركوا فى الحياة الاجتماعية، كما كان بعضهم جنداً فى جيش الموحدين فأقطعوهم بعض الأراضى وأنفقوا عليهم النفقات الواسعة[2] والى جانب قبيلة المصامدة وبعض القبائل الأخرى المساندة والعرب المشارقة ، فهنالك أجناس أخرى صغيرة من السودانيين والروم والصقالبة إذا استخدم الموحدون منهم فى جيوشهم ، كما شاركت الجوارى السودانيات فى الحياة الاجتماعية فى مدينة مراكش حيث عرف عنهن مهارات فى طهى الطعام وإعداده[3] ، ومن العناصر الأخرى التى سكنت مراكش الأتراك الغز فانضم بعضهم إلى الجيش وصارت لهم الأعطيات والمرتبات الشهرية والاقطاعات[4] ، وكان لقبيلة كومية أيضاً مكانها فى المجتمع الموحدى ، فقد تولى بعض أفرادها "الوزارة" .

---

[1] ابن أبى زرع، الأنيس المطرب ص 183 .
[2] ابن عذارى، المصدر السابق ص 152 .
[3] كتاب الإستبصار فى عجائب الأمصار ص 216 .
[4] ابن الأثير، الكامل ج 8 ص 296 .

obeikandl.com

نستخلص من ذلك أن الموحدين استحدثوا من فئات السلطة الحاكمة ، مسلماً اجتماعياً جديداً ، أرسى قواعده محمد بن تومرت ، فقد اختص من استجاب لدعوته بمكان الصدارة فى الدولة فقد لقبائل هرغة وهنتاتة وجنفسية وهزرجة ووريكة وكوفية ، كثيراً من البر والكرم فضلاً عن العطاء المنظم ، وبذلك ظهر المجتمع فى عهد الموحدين فى أربع عشرة فئة ، أولها أهل الجماعة وآخرها فئة "الغرات" وهم الموالى[1]، وتتمتع هذه الفئات بحسب سلمها الإجتماعى بالامتيازات والاعطيات والمرتبات ، كما إن علماء الموحدين كانت لهم منزلتهم اللائقة بهم وكذلك القضاة ورجال القضاء حيث كانت لهم كلمتهم المسموعة لدى الخلفاء والأمراء والقادة .

ولم يكتف الموحدون بما وجدوه فى البلاد من القصور والمنشآت العامة بل زادوا عليها ومن أشهر قصورهم "قصر الحجر" الذى شيده على بن يوسف بن تاشفين وقصر الخليفة عبد المؤمن بن على كما شهدت مراكش إنشاء العديد من المساجد منها المسجد الكبير الذى أنشأه يوسف بن تاشفين والمسجد الجامع الذى أقامه عبد المؤمن بن على والمعروف بجامع "الكتبيين" وأسسوا كذلك المدارس التى ألحقت بالقصور لتخريج الحفاظ والقراء والمحدثين. وسعوا أيضاً إلى بناء البيمارستانات " المستشفيات " ومنها البيمارستان فى مدينة مراكش الذى اشرف على تشييده عبد المؤمن بن على وكذلك إقامة الحمامات العامة والفنادق والأسواق المسقفة.

أما الاحتفالات الدينية فمن أهم مناسباتها صلاة الجمعة والاحتفال بقدوم شهر رمضان والاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى وكذلك الاحتفالات والمهرجانات

---

[1] الموالى تعنى السادة أو العبيد على السواء والمقصود هنا العبيد أو الإماء (ويأتي بعد أهل الجماعة ، أهل الخمسين وأهل السبعين ومعهم الطلبة "وهم علماء الموحدين" والحفاظ "وهم صغار الطلبة" ثم أهل الدار (أفراد البيت الموحدى)

ثم أهل هرغة (قبيلة محمد بن تومرت) ثم أهل تيمنلل ثم قبيلة كدميوه او جديموه ثم أهل حنفيسة وأهل حفتاته ثم تليها القبائل التى ناصرت الموحدين فى البداية وليست من قبيلة مصمودة ثم الجند وأهل العساكر (ابن عذارى ، البيان ص، 154 ، سليمان عبد الغنى مالكه ص 178) .

العسكرية التى كانت تتضمن استعراض الجند وال"ساكر قبل الخروج إلى الحرب إضافة إلى الاحتفالات بالوفود والسفراء والمبعوثين ورسل الملوك والأمراء والقادة أو عند الانتهاء من تشييد أحد المساجد أو الجوامع أو القصور أو المدارس أو لدى العفو عن المسجونين والمحبوسين.

ومن المظاهر الاجتماعية ارتياد الناس للحدائق والمتنزهات ومنها "الحديقة الكبرى" التى أمر بإنشائها وغرسها الخليفة عبد المؤمن بن على والبستان الكبير بمراكش الذى كان خصيصاً للأمراء كما أقيمت وسط هذه المتنزهات البرك التى أشبه ما تكون بالمسابح فى الوقت الحاضر.

وعلى الرغم من إن خلفاء الموحدين وأمرائهم وبخاصة الأوائل منهم كانوا عزوفين عن متع الحياة ومباهجها مما يحول دون ممارسة الرعية لها وخصوصاً فيما يتعلق بالغناء والموسيقى ولكن التأثيرات التى تركتها الأندلس فى هذا الجانب أصبحت مجالس الغناء والموسيقى والطرب تعقد فى قصور الحكام والأمراء.

ويولى الموحدون اهتمامهم بالنواحى الاقتصادية فقد تميزه مراكش فى عهودهم بنشاطها التجاري حيث أصبحت لا تقل شهرة عن المراكز التجارية الذائعة الصيت مثل القيروان وتاهرت وسجلماسة واودغست وغيرها ويتوضح حجم هذا النشاط التجاري مما ورد عن كارثة الحريق الذى شب فى سوق مراكش سنة 607 هـ حيث ذهبت أموال جسيمة لا تحصى للتجار الواردين والقاطنين والقاصين والدانين وأدى إلى افتقار طبقة كبيرة من ذوى اليسار والثروة[1] وينقل ابن عذارى، إن الخراج بلغ فى عهد الموحدين مائة وخمسين بغلاً من أفريقيا وحدها عدا بجاية وأعمالها وتلمسان وأعمالها وان عبد المؤمن بن على وجه همه لتشجيع الزراعة وإصلاحها وتنظيم الحياة الاقتصادية يساعده فى ذلك اتساع رقعة دولة الموحدين واستتباب الأمن فيها واستقرار الحياة الاجتماعية وتشجيع التجارة والصناعة[2] لذلك فان الازدهار الإقتصادى الذى عرفته دولة الموحدين يجد موارده من الأندلس الغنية بثرواتها فضلاً عن بلاد المغربين الأوسط والأقصى.

---

[1] د.حسن إبراهيم حسن ج 4 ص 416، سليمان عبد الغنى مالكه، المصدر السابق ص 181 .

[2] البيان المغرب، المصدر السابق ص 33.

لقد ضمت مراكش العديد من أصحاب الحرف والصناع الذين كونوا فيما بعد طوائف عدة وكان معظم هؤلاء الحرفيين قد استبقى الموحدون على حياتهم لدى دخولهم مراكش للاستيلاء عليها وانتزاعها من المرابطين اذ حرص عبد المؤمن بن علي على حياة الحاذقين والنابهين منهم لاحتياج الدولة إليهم[1] وخاصة في إنتاج الأسلحة والبناء والتشييد ونشر الثقافة وغيرها من مظاهر العمران[2] .

(8) إمارة بنى مرين:

قامت دولة بنى مرين بعد الانهيار الذى منيت بد دولة الموحدين حيث فقدت نفوذها وسلطتها فى بلاد المغرب والأندلس فتمكنوا من مؤسساتها الإدارية والسياسية والعسكرية أعلنوا استقلالهم فيما كانوا يحكمونه ويديرونه من أملاك دولة الموحدين المترامية الأطراف.

ويمكن القول أن قوانين الموحدين ورسومهم ونظمهم وشرائعهم ظلت سارية المفعول فى دولة بنى مرين الذين يمثلون فى واقعهم ورثتهم السياسيين والإداريين فقد اتخذوا من مراكش عاصمة لهم بما يسرى فيها من تنظيمات سياسية وإدارية كان الموحدون أوجدوها ونحتوها لدولتهم وكانت البداية الحقيقية لبنى مرين كدولة سياسية وإدارية فى منطقة المغرب الأقصى وهى تلعب دورها المهم على نطاق المغرب الإسلامى فى عهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق الذى سيطر على مراكش سنة 668 هـ ولما كانت الدولة المرينية قد بسطت سيطرتها من برقة شرقاً إلى منطقة السوس الأقصى والمحيط الأطلسى غرباً فلابد لها أن تعتمد ما كان سائداً فى حكمها وإدارتها فى هذه المنطقة المتسعة الأرجاء وبخاصة فيما يتعلق بالدواوين وإدارة الجيوش والموظفين والعمال وأعطيتهم ومرتباتهم والاقطاعات التى كانت تمنح لهم وكذلك بتعيين القضاة والجباة وتنظيم ادارة المدن والحواضر والحياة الاجتماعية ويزودنا ابن الأحمر بمعلومات مفيدة عن أحوالها الاجتماعية وذلك من خلال الحديث عن مدينة فاس فيشير إلى أن بنى مرين اهتموا

---

[1] سليمان عبد الغنى، المصدر السابق ص 182.

[2] د. حسن إبراهيم حسن ج 4 ص 417-418.

obeikandl.com

بفاس اهتماما خاصا واعتنوا بأمرها وبنوا مدينة ألحقت بهـا سـميت "المدينـة البيضاء" وعرفت "فاس الجديدة" اذ اتخذوها داراً للإدارة[1] وكانوا أقاموا أسوارها وجامعها وأسواقها[2] واختط الناس فيها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه إلـى القصور وأقيمت القناطر بطرقاتها مثل قنطرة وادى البخار وقنطرة مـرين[3] كمـا ابتنيت فى المدينة الجديدة الأسواق والحمام العظيم والقصور للـوزراء وعمـرت بالأسواق والمدارس والفنادق[4] وأجريت إليها المياه عن طريـق وادى الجـواهر وغدير الحمص[5] ووضعها ابن الخطيب "بأنها كالصباح أفق للغرر الصباح فيهـا منابت الروح المفترس ومجالس الحكم الفصل ودواوين الكتاب وخزائن محمولات الاقتاب وكراسى الحجاب وعنصر الأمر العجاب "[6] أما ابن أبى زرع فيلقى ضوءاً مفيداً على المدينة الجديدة فاس فى عهد بنى مرين فيقول:"جمعت مدينة فاس بين عذوبة الماء واعتدال الهواء وطيب التربة وحسن الثمرة وسعة المحـرث وبهـا منازل مونقة وبساتين مشرقة ورياض مورقة وأسواق مرتبـة منسـقة وعيـون منهمرة وانهار متدفقة منحدرة وأشجار ملتفة وجنات دائرة بها مجتمعة"[5] وبذلك يشير هذا المؤرخ من طرف خفى إلى ازدهار الزراعة حيث تتخلل الأنهار ديارهـا وبساتينها وجناتها وشوارعها وأسواقها كما يذكر ابن الخطيب ما يدل علـى هـذا الازدهار فيقول: " وقيدت طرف الناظر المفتون ادواح الشجر بها وغابات الزيتون زيتها يعصر وخيرها لا يقصر وفواكهها لا تحصى ولا تحصر "[6] كمـا إن هنـاك بعض الصناعات التى كانت تقوم على حطب البلوط والفحـم وكـذلك إقامـة دور

---

[1] روضة النسرين فى دولة بنى مرين ص 19.

[2] ابن أبى زرع، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ص 186، 187.

[3] م. ن. ص 99.

[4] ابن الأحمر، روضة النسرين ص 20 .

[5] م. ن. ص 20 .

[6] مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 112.

[5] الذخيرة السنية ص 528، ثم انظر الجزنائى، زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ص 25، 26.

[6] شاهدات ص 108.

obeikandi.com

لصناعة القوارب والسفن الصغار المعروفة (بالحبالات) ووجود بعض الصناعات المحلية التى كان يزاولها الصناع والحرفيون والأرجاء المنصوبة على الأنهار تطحن الحبوب ويخرج منها حمل أثقالها واقذارها ورماداتها [1].

وهكذا فان عهد بنى مرين يعد استمرارا لما كان عليه عهد الموحدين فيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية من تجارة وزراعة وصناعة وكذلك بما يختص بالأحوال الاجتماعية وعناصر السكان فى المدن ومظاهر أحوالها والحياة العامة فى الحواضر وبخاصة فى مدينتي مراكز وفاس وأحوال القبائل وخططها ومساكنها.

والظاهر إن بنى مرين نقلوا كثيرا من مظاهر الحضارة الأندلسية إلى بلادهم وخصوصا ما يتعلق بمظاهر العمران والعناية بالزراعة ومتطلباتها فاستقبلوا الأندلسيين الماهرين والحاذقين والمهندسين والبناءين وذوى الخبرة فى الصناعة، وكذلك العلماء والفقهاء والمدرسين وأصحاب الفن، وقد درجوا فى ذلك على ما كان يقوم به الموحدون فى هذه الجوانب.

---

[1] ابن أبى زرع، المصدر السابق ص 529 .

obeikandl.com

المصادر والمراجع

1- المصادر الأولية.

2- المراجع الثانوية.

3- البحوث والأطارح.

4- المراجع الأجنبية.

obeikandl.com

obeikandl.com

المصادر والمراجع

أ-المصادر الأولية:

ابن الأثير، عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 630 هـ / 1232م)

1-الكامل فى التاريخ (بيروت – 1966)

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى(ت 658 هـ/ 1258م)

2-الحلة السيراء (القاهرة – 1963)

البلاذرى، أبو العباس أحمد بن يحيي بن جابر (ت 279 هـ / 892م)

3-فتوح البلدان (القاهرة – 1956)

الباروني، النفوسي سليمان بن عبد الله (ت 559 هـ / 1940م)

4-الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك ج2 .

5 -مختصر تاريخ الاباضية (تونس – 1958)

الجززائى، أبو الحسن على (ت أواخر القرن الثامن الهجرى)

6-كتاب زهرة الأس فى بناء مدينة فاس (الجزائر – 1923)

ابن حزم الأندلسي، على بن أحمد بن سعيد (ت 456 هـ / 1063 م)

7-جمهرة أنساب العرب (دار المعارف بمصر – 1962)

ابن حوقل النصيبى، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت367 هـ/977 م)

8-صورة الأرض (بيروت – 1938)

الحميدى، أبو عبدالله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبدالله الازوى (ت488هـ/1892 م)

9-جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس (القاهرة – 1966 م)

الحميرى، أبو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي (ت القرن التاسع الهجرى)

10-صفة جزيرة الأندلس (قطعة من الروض المعطار فى خبر الأقطار (القاهرة1937)

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هت / 1405 م)

obeikandl.com

11-العبر وديوان المبتدأ والخبر 0مصر - بولاق 7 أجزاء)
ابن خلكان، أبو العباسى شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681 هـ / 1282م)
12- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان (مصر - 1310هـ)
ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفى فى حدود 300 هـ)
13-المالك والممالك (باعتناء دى غريه (بريل، ليدن - 1889م)
الدرجينى، أبو العباس أحمد (ت منتصف القرن السابع الهجرى)
14-طبقات الاباضية (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 12561 خ)
الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى (ت 690 هـ / 1296 م)
15-معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان (تونس - 1230 هـ)
الرقيق القيروانى، إبراهيم بن القاسم(توفى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى)
16-تاريخ أفريقيا والمغرب (تونس - 1988)
أبو زكريا، يحيي بن أبى بكر (ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى)
17--السيرة وأخبار الأئمة (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 19030 خ)
السلاوى، أحمد بن خالد الناصري (ت 1319 هـ / 1901 م)
18-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدار البيضاء - 1954)
الشماخى، احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928 هـ / 1521 م)
19-السير (القاهرة - الطبعة الحجرية)
ابن شاهين الظاهرى، غرس الدين خليل (ت 873 هـ / 1468 م)
20-زبدة كشف الممالك وبيان الطرق بالمالك (باريس - 1894م)
الأصطخرى، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 341 هـ / 952م)
21-مالك الممالك (القاهرة - 1961)
ابن الصغير المالكى (ت نهاية القرن الثالث الهجرى)
22-أخبار الأئمة الرستميين (باريس - 1958)
أبو عبيدة، مسلم بن أبى كريمة (ت أواخر القرن الثانى الهجرى)
23-رسالة فى أحكام الزكاة (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 21582ت)

أبو عبيد البكرى، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ / 1094م)
24-المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (الطبعة الأوروبية -1857 م)
عبد الله بن أبى عبد الله المالكى (ت نهاية القرن الرابع الهجرى)
25-رياض لنفوس فى طبقات القيروان وأفريقية (القاهرة-1951)
ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن القرشي المصرى (ت 276 هـ/889م)
26-فتوح مصر والمغرب (القاهرة - 1961)
27-فتوح أفريقية والأندلس (الجزائر - 1947)
فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت 742 هـ / 1341م)
28-مالك الأبصار فى ممالك الأمصار(نشر أحمد زكى باشا(القاهرة/ 1924)
أبو الفدا، اسماعيل بن على بن عماد الدين صاحب حماة (ت732 هـ/1331 م)
29-المختصر فى أخبار البشر (القاهرة - 1325م)
30-تقويم البلدان (طبعة باريس - 1840)
القزوينى، أبو عبد الله زكريا الأنصارى (ت 628 هـ / 1230م)
31-آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر دار بيروت - 1960)
لسان الدين بن الخطيب محمد (ت 940 هـ / 1533 م)
32-أعمال الأعلام، القسم3 (دار الكتاب، الدار البيضاء - 1964)
مجهول (من أهل القرن الثالث الهجرى)
33-أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها (مدريد - 1867م)
مجهول (من أهل القرن السادس الهجرى)
34-الإستبصار فى عجائب الأمصار (الأسكندرية - 1958)
محمد بن احمد بن تميم العرب (ت 333 هـ / 944م)
35-طبقات علماء أفريقية (باريس - 1915)
محى الدين عبد الواحد بن على المراكشى (ت 647 هـ / 1247م)
36-المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (القاهرة - 1949)
المقرى، احمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1623م)

obeikandl.com

37-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (القاهرة – 1949)
المقدسى البشارى، محمد بن احمد (ت 375 هـ / 985 م)
38-أحسن التقايم فى معرفة الأقاليم (ليدن – 1907)
النعمان، أبو حنيفة المغربي (ت 636 هـ / 973م)
39-رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة (بيروت – 1970)
الوسيانى، أبو الربيع عبد السلام (ت 471 هـ /
40-سيرة أبى الربيع بن عبد السلام (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 911م)
اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن واضح (ت 284 هـ / 897م)
41-كتاب البلدان (ليدن- 1891م)
42-التاريخ (النجف – 1358 هـ)
ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1228م)
43-حجم البلدان (بيروت – 1957)

مصادر مضافة أخرى:

ابن أبى دينار، أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم (ت 1092 هـ / 1681م)
44-المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس (المكتبة العتيقة ، تونس – 1967)
الأدريسى، الشريف أبو عبد الله محمد (ت 558 هـ / 1162م)
45-صفة المغرب وارض السودان ومصر (قطعة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق- ليدن – 1894م)
ابن ايبك الداوداري، أبو بكر بن عبد الله (ت حوالي 736هـ /1335م)
46-الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية (كتاب كنز الدور وجامع الغرر القاهرة – 1972)
ابن عذارى المراكشى، أبو عبد الله محمد (ت 695هـ / 1295م)
47-البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب (أربعة أجزاء)
الأول والثانى تحقيق خ.س كولان وليفى بروفنسال-دار الثقافة- بيروت- 1929

obeikandi.com

الجزء الثالث والرابع تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت

ب-المراجع الثانوية:

اسماعيل أحمد

48-نبذة فى تاريخ الصحراء القصوى (باريس – 1911)

د. إحسان عباس

49-العرب فى صقلية (القاهرة – 1959)

آدم متز Adam Mitiz

50-الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى(مجلدان: ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة وبيروت – 1967)

الدكتور حسن إبراهيم حسن

51-تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافي ج3 (القاهرة – 1965)

52-تاريخ الدولة الفاطمية (القاهرة – 1958)

الدكتور حسن احمد محمود واحمد إبراهيم الشريف

53-العالم الإسلامى فى العصر العباسى (دار الفكر العربى-1977)

54-قيام دولة المرابطين (القاهرة-1957)

حسن حسنى عبد الوهاب

55-ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية (3 أجزاء تونس-1965، 1966)

الدكتور الحبيب الجنحانى

56-المغرب الإسلامى (تونس – 1976)

الدكتور السيد عبد العزيز سالم

57-المغرب الكبير ج2 (العصر الإسلامى) القاهرة-1966)

عثمان الكعاك

58-مراكز الثقافة فى المغرب (القاهرة – 1958)

الدكتور محمود اسماعيل

obeikandl.com

59-الخوارج فى المغرب الإسلامى (بيروت-1976)

الدكتور محمد حمدي المنياوي

60-الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمي (القاهرة-1970)

الدكتور موسى لقبال

61-دور كتامة فى تاريخ الخلافة الفاطمية (الجزائر-1979)

الدكتور محمد على دبوز

62-تاريخ المغرب الكبير (القاهرة-1943)

فاسيلى بارتولد .Barthold .W

63-تاريخ الحضارة الإسلامية (دار المعارف مصر- 1958)

ليفى بروفنسال Leve-Provencal

64-الإسلام فى المغرب والأندلس (القاهرة-1958)

ج-البحوث والأطارح:

بحاز إبراهيم بكير "أطروحته للماجستير المرسومة"الدولة الرستمية"

(جامعة بغداد-1983).

د.سوادي عبد محمد، بحثه " اباضية البصرة وتأثيراتها الفكرية والسياسية فى اباضية المغرب فى القرن الثانى الهجرى/ مجلة كلية التربية / العدد8 / جامعة البصرة-1982".

وبحثه " تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية فى المشرق الإسلامى مجلة عالم الفكر/ المجلد الثالث عشر/ العدد الثانى/ دولة الكويت-1982

د.سليمان عبد الغنى مالكة، بحثه " بعض ملامح الحياة الاجتماعية فى مدينة مراكش فى عصر المرابطين والموحدين / مجلة الدارة العدد الثالث / السنة الثانية عشرة المملكة العربية السعودية – 1986.

obeikandl.com

د-المراجع الأجنبية:

1. Andre Julien, Historie De A Frique du Nord (Paris-1951)
2. Farhy, Dr.A.Persian dansty in North Aerica, The Rustamides, The Islamic Review (England- 1962)
3. Hopkins Medivcal Moslem government in Barbary untilc the 6th cetury of Hijra (London,1958)
4. Heyed, W. Hostoire du commerce du levant au Mogen-Age (
5. Marcais, La, Berberie Musulmane et orient au Mogen-age (Paris, 1946)
6. Lewcki, melanges Berberes Ibadites Revue Des et udes Islamiques Annce cahier (Paris-1930).
7. Prescott, History of Ferdinand and Isabella the catholic (London sonnenechein)
8. Terasse, Historie du Moroco, des oriyines A, Letablissenient du protectoral Francais (casablanca-1949).

obeikandl.com

obeikandl.com

الخرائط والمصورات والمخططات

1- مخطط حملة عقبة بن نافع فى المغرب الأقصى

2- خريطة الإمارة الرستمية

3- خريطة إمارة الأغالبة

4- خريطة إمارة الأدارسة

5- خريطة الدولة الفاطمية

obeikandl.com

obeikandl.com

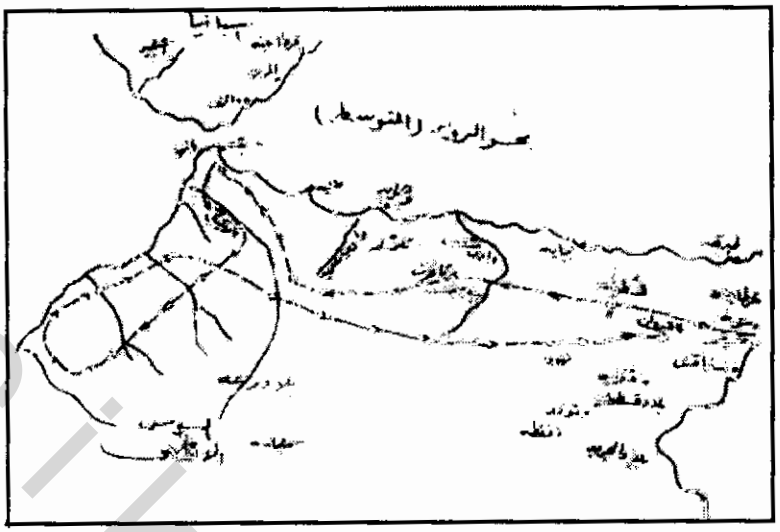

مخطط حملة عقبة بن نافع فى المغرب الأقصى

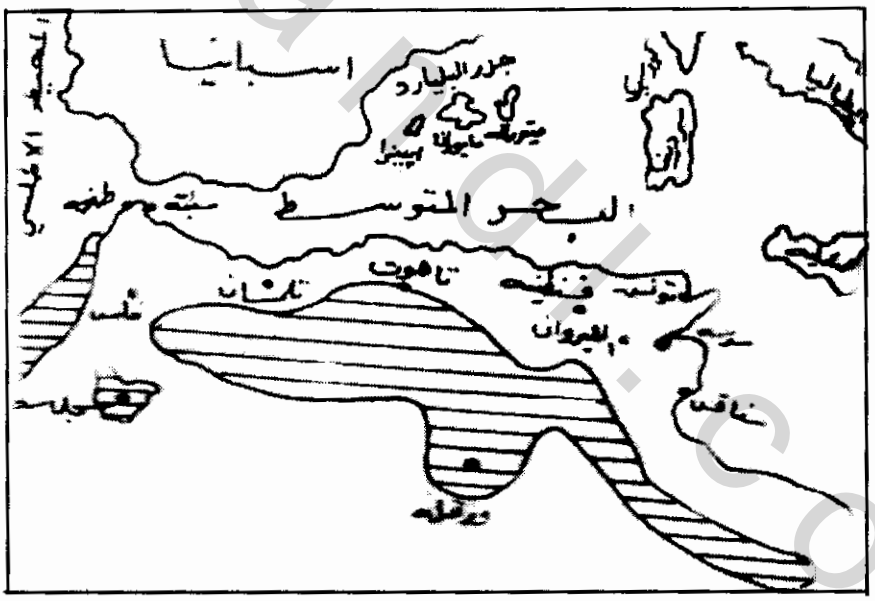

الإمارة الرستمية

(نقلاً عن الموسوعة العسكرية ح2 ط1 بيروت 1979)

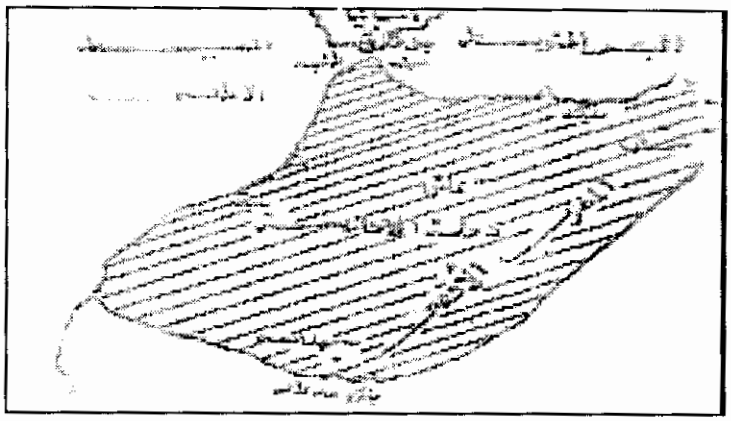

الحدود القصوى لإمارة الأدارسة

(نقلاً عن الموسوعة العسكرية ح2 ط1، بيروت-1975)

الحدود القصوى لإمارة الأغالبة

(نقلاً عن الموسوعة العسكرية ح2 ط1، بيروت-1979)

obeikandl.com

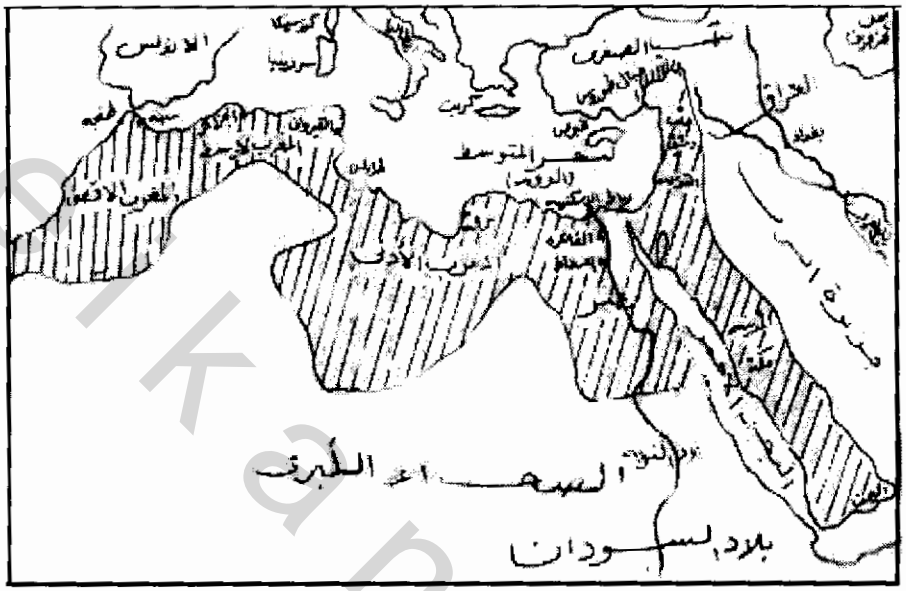

حدود الدولة الفاطمية فى أقصى أتساعها

(نقلاً عن الموسوعة العسكرية ح2 ط1، بيروت- 1979)

obeikandl.com

شجرات النسب والسلالات الحاكمة

1. بنو مدرار 140-354هـ/757-965م
2. الرستميون 144-283هـ/761-947م
3. الأدارسة 172 -375هـ/
4. الأغالبة 184- 296هـ/
5. الفاطميون 297-541هـ/909-1171م
6. المرابطون 448-541هـ/1056-1147م
7. الموحدون 524 -667هـ/

obeikandl.com

obeikandl.com

بنو مدرار 140-354هـ/757-965م

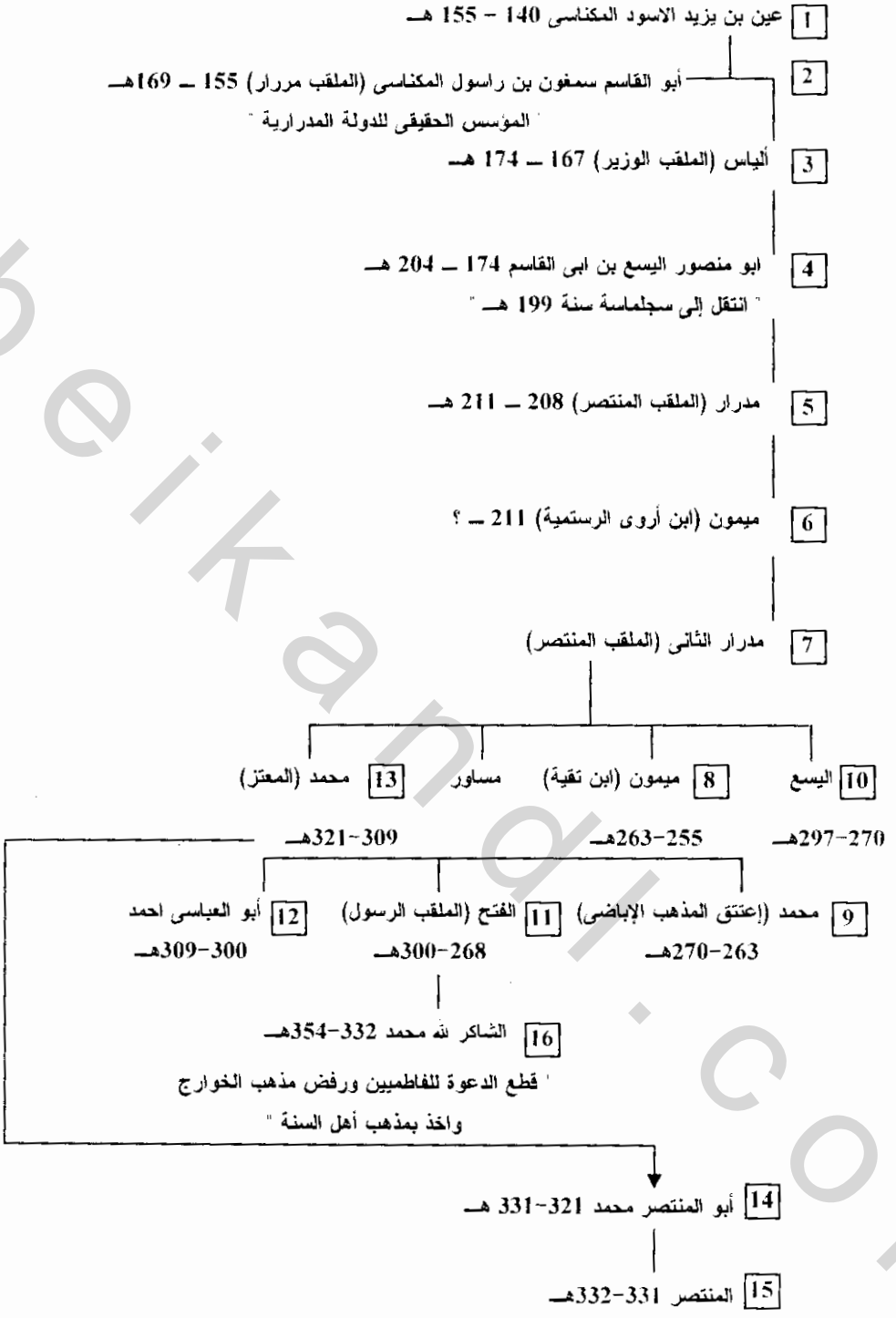

obeikandi.com

1 عبد الرحمن بن رستم 144-171هـ
مؤسس الدولة الرستمية وبانى مدينة تاهرت، بويع سنة 160 هـ

ابو الخطاب عبد الاعلى بن سمح المعافرى اليمنى
140-144 هـ (اسقطه العباسيون قبل تقم دولته)

2 عبد الوهاب 171- 211هـ

3 أفلح ◄ 211-240هـ

4 أبو اليقظان محمد 240-281 هـ

5 أبو حاتم يوسف 281-294هـ

6 أبو اليقظان بن أبى اليقظان 294-294 هـ

فترة حكم الفاطميون الدولة الرستمية 294-316 هـ

7 أبو اليزيد (صاحب الحمار، وهو إباضي نكارى قادم
النفوذ الفاطمي ودعى للأمويين الأندلس)

obeikandl.com

الأدارسة 172 -375هـ

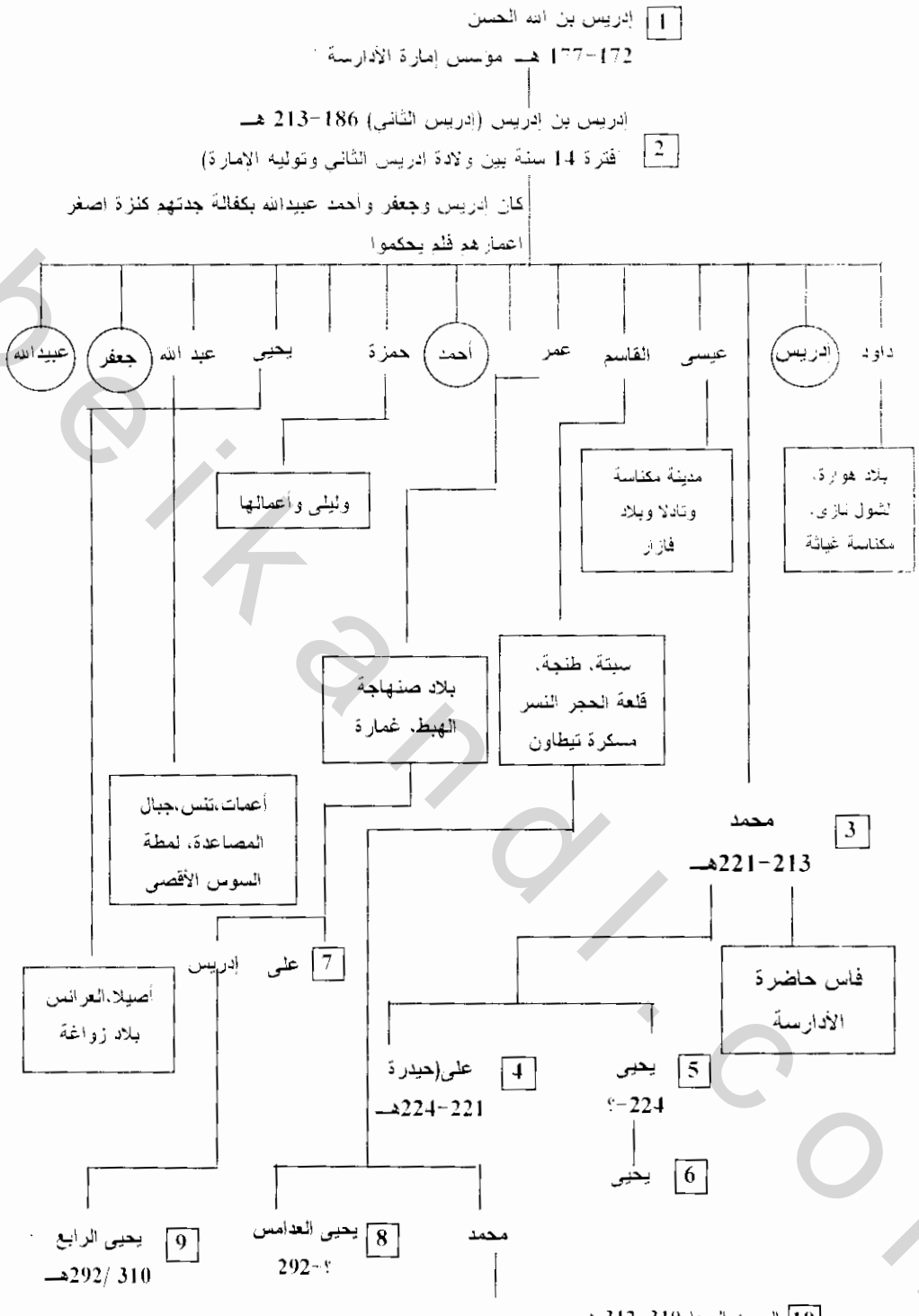

312-375هـ (حكم بعده موسى بن أبى العافية باسم الفاطميين ثم عدل فحكمها باسم أمويى الأندلس

obeikandl.com

الأغالبة 184-296هـ

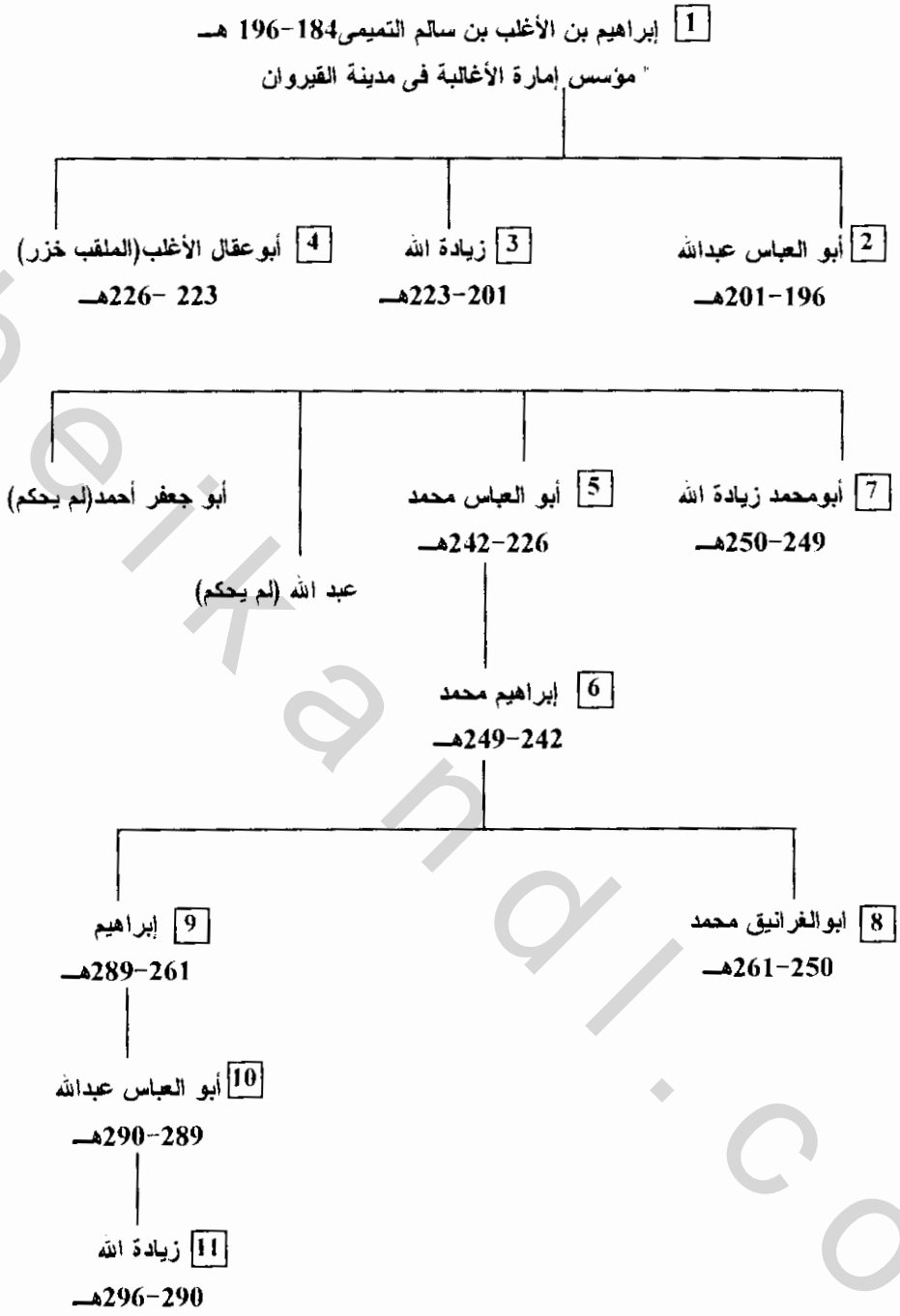

obeikandl.com

الفاطميون 297-541هـ/909-1171م

567 هـ نهاية الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي

obeikandl.com

المرابطون

448-541هـ/1056-1147م

(شملت المغرب الأقصى وجزء من الجزائر والأندلس ورتنتك)

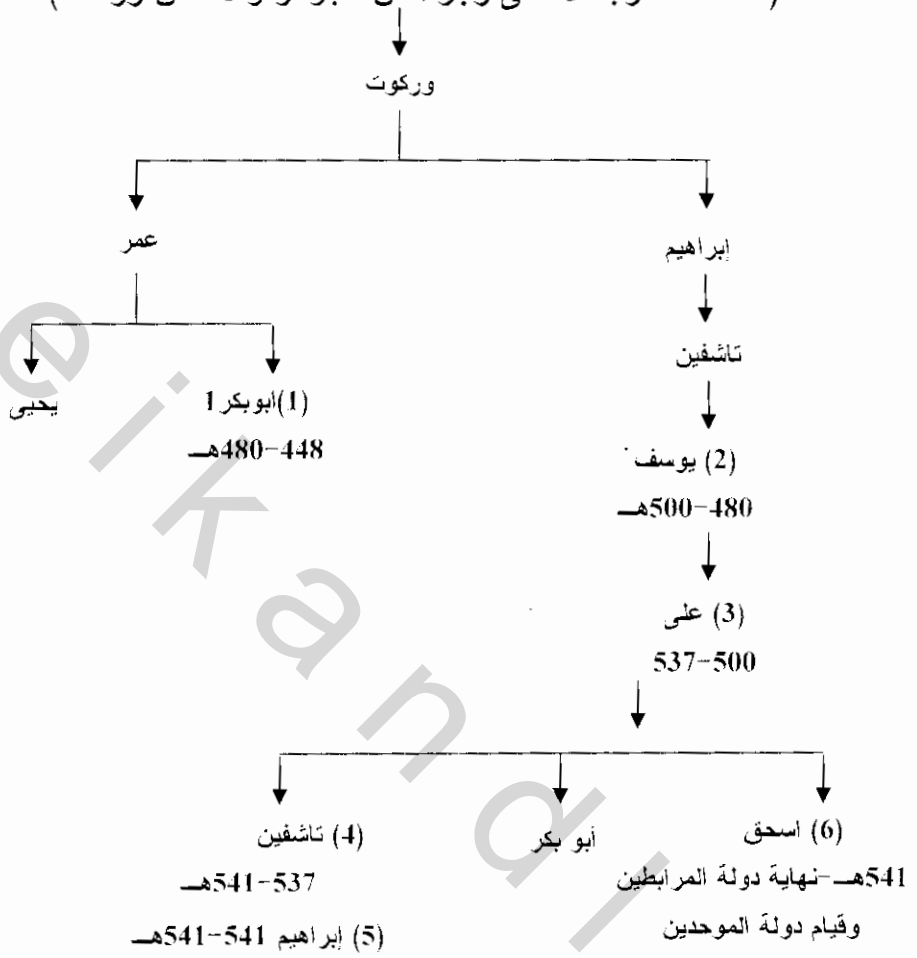

obeikandl.com

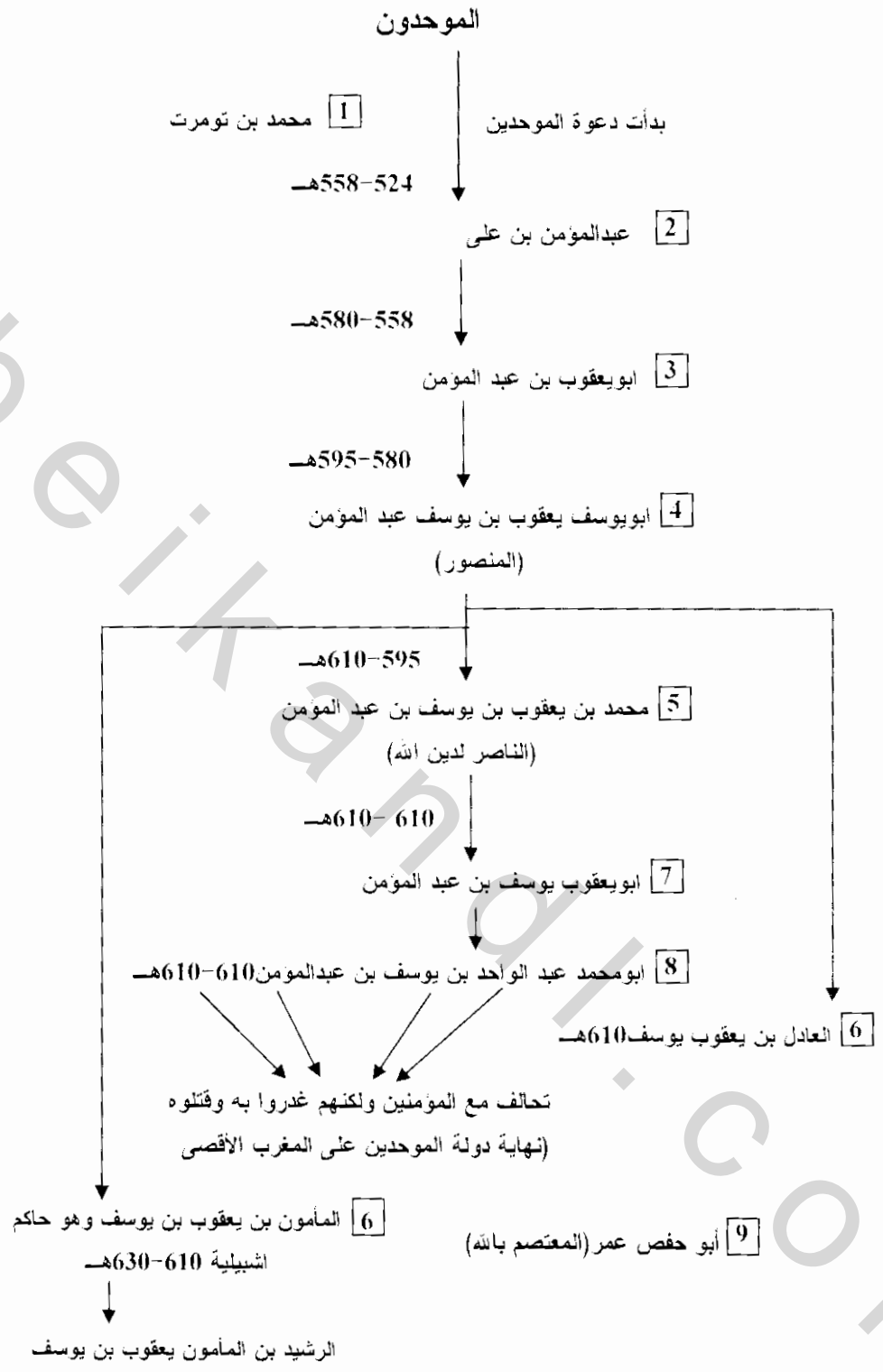

obeikandl.com

obeikandl.com

قبائل المغرب الإسلامى

1- تقسيم ابن خلدون "التقسيم الإجتماعى المدني"
" كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) "

2- تقسيم ابن حزم الأندلسي "التقسيم العام"
" كتابه (أنساب العرب) "

obeikandl.com

obeikandl.com

(المقدمة لابن خلدون" العبر وديوان المبتدا والخبر)

((التقسيم الاجتماعي المدني))

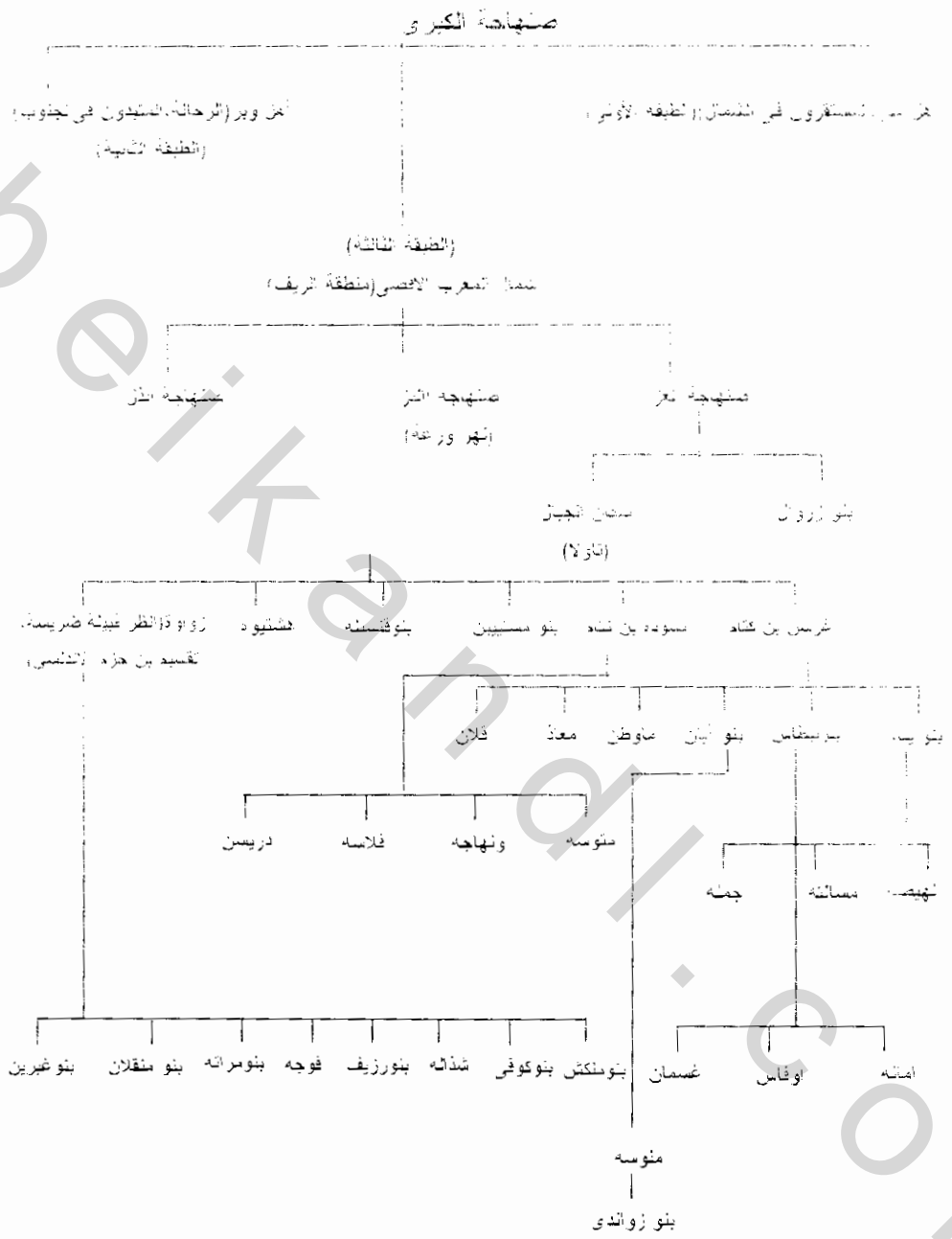

obeikandl.com

بَربن قيس عيلات بن ماتيغ بن كنعان بن حام

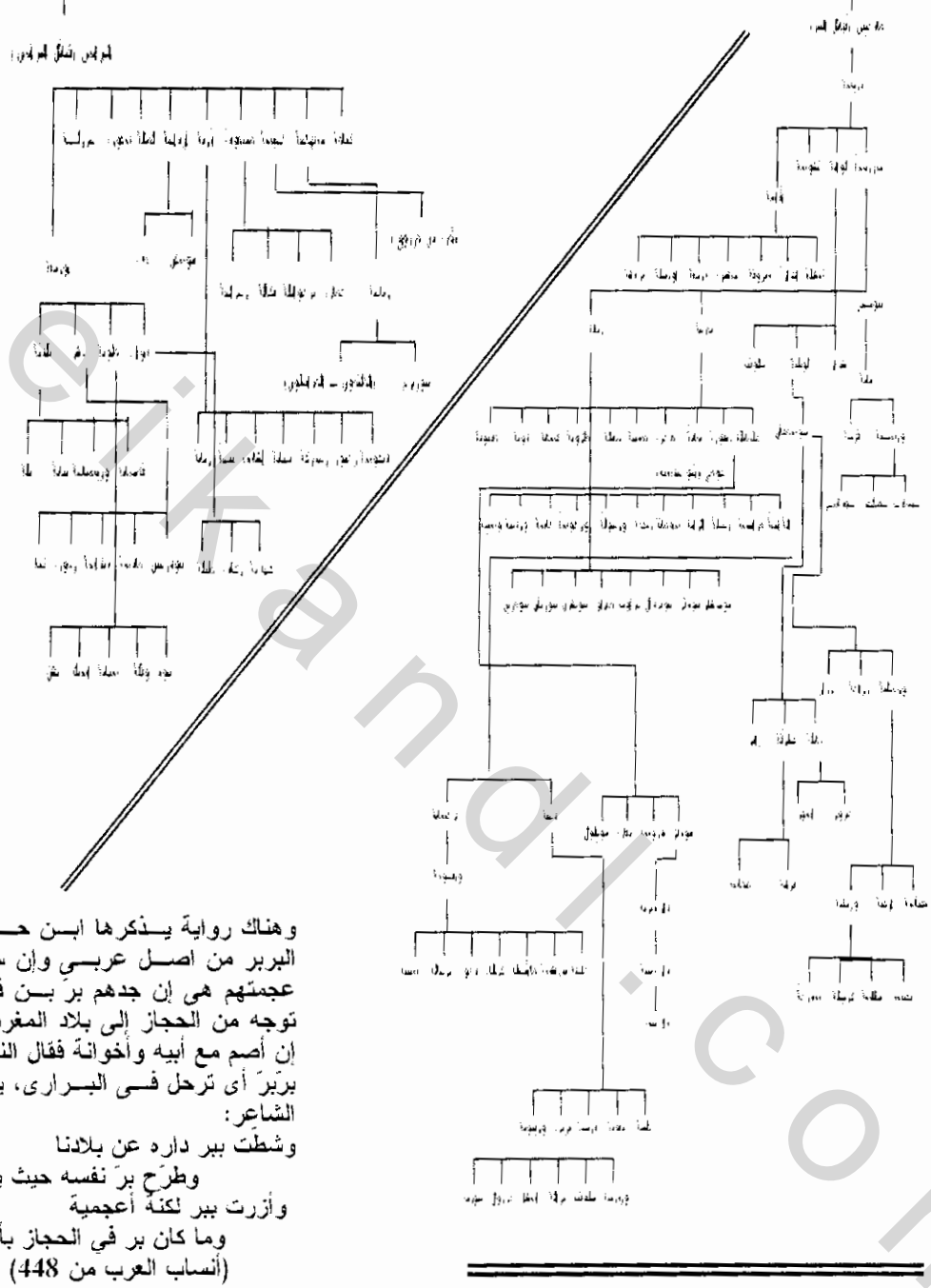

وهناك رواية يذكرها ابن حزم إن البربر من اصل عربي وإن سبب عجمتهم هى إن جدهم برَ بن قيس توجه من الحجاز إلى بلاد المغرب بعد إن أصم مع أبيه وأخوانة فقال الناس: برْبرَ أى ترحل فى البرارى، يقول الشاعر:

وشطّت ببر داره عن بلادنا
وطرّح برّ نفسه حيث يحيا
وأزرت ببر لكنة أعجمية
وما كان بر في الحجاز بأعجما
(أنساب العرب من 448)

تقسيم إبن حزم الأندلسى " أنساب العرب"

obeikandl.com

الملاحق

1- الملحق الأول "كتاب الخليفة العباسى،المستظهر بالله إلى معز الدولة".

2- الملحق الثانى "بنو عبد الحق".

3- الملحق الثالث "كتاب المعتمد بالله يستصرخ يوسف بن تاشفين أمير المرابطين"

4- الملحق الرابع "كتاب أبى يعقوب يوسف بن تاشفين إلى أبى القاسم ابن عباد".

5- الملحق الخامس "من وثائق الموحدين".

obeikandl.com

obeikandl.com

المـــــلاحق

الملحق الأول

كتاب الخليفة العباسى المستظهر بالله، إلى معز الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية على يد يوسف بن تاشفين احسن الله توفيق:

أما بعد:

فالحمد لله مقدم على كل مقال، ونال كل فعال، وهو ذو المن والأفضال الكبير المتعال، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالتنزيل الذى كشف عن الأمة الغمة واستنقذ من الظلالة الأمة، وحمى به من المحارم ما كان مباحا واقترح به من القلوب زنادا اورى بعدما كان شحاحا وأليس الدين بعدما كان بالعراء من البسيطة جناحا وعلى أزواجه وذريته ما عقب مساء صباحا وخص العباس بن عبد المطلب عم النبوة ووارث الخلافة وشقيق الأبوة الميمون الظاهر الطاهر الأوائل والأواخر بالصلاة المستهلة العباد، المتصلة الإمداد ومواهب الله على أمير المؤمنين حبائس ومنائحه لديه كوامل نفائس وجناب الإسلام مريع وباع الحق وسيع ورياض العدل اريضة وعيون الحق عريضة ونظرة للرعايا على ما تقتضيه قصدها ومرادها ويفل عنهم شبا الأيام إذا رهف حدها والنصر لراتبه ألف والظفر لجيوشه حلف، وأعدائه للسيوف حصائد وللحقوف طرائد – وشكره لله تعالى ما ولاه شكر مؤذن بالمزيد وشاهد بصنع لا يبيد.

وعرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك، الموضح الإخلاص، السرية المطبوعة بطبائع الدين، المعربة عن تمسك بطاعته بحب الله المتين، الهاطلة سحائبها من سماء سيرتك، المضيئة مصابيحها من إخلاص طريقتك وأما ما نهيته من توفير الأجناد ومثابرتك على الجهاد ولدفع ادناس الكفرة فيما يليك من البلاد فانك وطائفتك من حزب الله (وحزب الله هم الغالبون) فاتخذ التقوى عما دلك والحق منارك وكتاب الله وسنة رسوله شعارك وتجرد للدفاع عن الإسلام والمسلمين وحطم معارك فى نحور أعداء الله الكافرين وأعلن بالدعاة لأمير المؤمنين على المنابر، تكن الظافر بالأعداء والظاهر، والسلام عليك وعلى من قبلك من أهل

obeikandl.com

الطاعة سلام يهديكم إلى المقام المحمود ويكنفكم بظل الرحمة الممدودة ورحمة الله وبركاته.

"نقلا عن كتاب: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلف أندلسى من أهل القرن الثانى عشر الهجرى (تحقيق د. سهيل زكار والأستاذ عبد القادر رزامه/ دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء –الطبعة الأولى 1979 / ص 87-88)

المحلق الثاني

"بنو عبد الحق "

منهم من درج ومنهم من عز وخلف

قال الفقيه الكاتب أبو على الملیانى: يرجع نسبهم إلى بنى مربن ،وبنو ملاين يرجعون إلى زناته وزناته من أولاد جنان يحيى بن ضريس بن زحيك ابن عتلان ،وقد كان جماعة من العلماء ممن له اعتناء بهذا الشأن ينسبونهم لبر بن قيس المذكور واجاز كتابه انهم عرب صرحاء وانما تبربروا بالمجاورة والمخالطة للبربر قال ابن رشيق : ان البربر باجمعهم من ولد جالوت، إلا قبيلتى صنهاجة وزناته فانهما ينتسبان الى حمير .

أصل بنى مرين من أحواز تلمسان، قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناته على قديم الزمان – وكان وطنهم ما بينها وبين تاهرت من شرقها يجاورهم فى السكنى من زناته بنو يغمراس وبنو تجين وبنو مغراوة وبنو راشد، وغيرهم وكان غالبهم الفرسان.

قال ابن رشيق: اصل زناته من الشام وكانت دارهم بفلسطين وملكها جالوت فلما قتله داود عليه السلام جاءت البربر الى المغرب فانتشروا الى السوس الأقصى– وقد وقع ذكر البرابر فاشير الى طرف من أصول أنسابهم من جهة زناته وغيرها على جهة الاقتصار.

وأعياض البربر هم: هوارة ومغلية وضرية ومغراوة وبنو يفرن وبنو مريع وسدداته ومسطاسة وملزوزة ونفرة وبنو غجدامة وولهاصة ولواته ومديونه ومطماطة وكتامة ومزاته ولمطة ومديونة وعجيسة ومكناسة وزواوة وصدفورة

وزهيلة ومسادة وزواجة ومغرة ومصمودة وغمارة وبنوزروال وبنو سعيد وبنو سنجوم وبنو يازين وينو خالد وبنو مرموشة وبنو شراحيل وبنو رتجين ولماية وغير هؤلاء هم بطون كثيرة وتفرعوا تفريقاً عريضاً، ليس هذا الموضوع محل بسط القول، وتقصى الأنباء، إنما بنى فيه على الاختصار واطراح التطويل.

"نقلا عن كتاب: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية المؤلف أندلسى مجهول من أهل القرن الثانى عشر الهجرى / ص 185-186).

الملحق الثالث

كتاب المعتمد بن عباد يستصرخ يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، فمن إنشائه وخطه ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

إلى حضرة الإمام، أمير المسلمين وناصر الدين محى دعوة الخليفة الإمام أمير المسلمين أبى يعقوب يوسف بن تاشفين.

من القائم بعظيم إكبارها الشاكر لإجلالها المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها اللائذ مجرمها المنقطع الى سمو مجدها المستجير بالله وبطولها محمد بن عباد.

سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية المعظمة السامية ورحمة الله وبركاته. وكتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية غرة جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وأربعمائة وانه أيد الله أمير المسلمين ونصر به الدين، إنا نحن العرب فى هذه الأندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا من معيننا، نصرنا شعوباً لا قبائل ، وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر ، فقل ناصرنا وكثر شامتنا وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين ادفنش وأناخ علينا بكلكله ووطئنا بقدمه واسر المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ، ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه ، ولو شاءوا لفعلوا ، إلا ان الهواء منهم عن ذلك ، وقد ساءت الأحوال وانقطعت الآمال – وأنت أيدك الله ملك المغرب

obeikandi.com

لبيضة وسودة وسيد حضير وملكها الأكبر وأميرة وزعيمها وزعمت بهمتي إليك واستنصرته بالله ثم بك واستدللت بحرمكم للجواز لجهاد هذا العدو الكافر وتحيوا شريعة الإسلام وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام وأقام بساحتك عليه الله الثواب الكريم والأجر الجسيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام الكريم على حضرتكم السنية ورحمة الله وبركاته.

الملحق الرابع

كتاب أبي يعقوب يوسف بن تاشفين الى أبي القاسم بن عباد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

من أمير المسلمين وناصر الدين محيي دعوة أمير المؤمنين الى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله المعتمد على الله أبي القاسم بن عباد أدام الله كرامته بالكفاية ووفقه لما يرضاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فإنه وصل خطابكم المكرم. فوقفنا على ما تضمنه من استدعاء لنصرتك وما ذكرته من كربتك وما كان من قلة حمايتك لجيرانك فنحن بمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك من الشرع- وكتاب الله تعالى وانه لا يمكننا الجواز إلا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا فان رأيت ذلك فأشهد به على نفسك وابعث إلينا بعقودها ونحن في اثر خطابك ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نقلا عن كتاب: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية لمؤلف أندلسي مجهول من أهل القرن الثاني عشر الهجري.

الملحق الخامس

من وثائق المرحلة

رسالة الخليفة الموحدي المرتضى لأمير الله في البابا انوسنت الرابع انوصان الرابع مورخة في 648 هـ / 1249م

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله وحده من عبد الله عمر أمير المؤمنين بن سيدنا الأمير ابراهيم أمير المومنين أيده الله تعالى بنصره وأمده بمعونته الى مقام سيدك النصرانية ومعظم عظماء الأمة الرومية وقيم الملة المسيحية ورئيس رياستها الدينية البابا (انه سانتس الثالث) أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه ورشاده وجعل التقوى التي أمر عز وجل بها عدته لمحبوبه ومعتمده ودلله من سبيل الهداية ما يقتضي أمدى الغاية، يباشر الفسحة والسداد تحية كريمة نراجع بها ما تقدم من تحياتكم الواردة علينا ويترجم لكم ارسلها عما تضمنتم به البار لدينا.

أما بعد فإنا نحمد الله الذى لا اله الا هو حمد من علم انه الرب الواحد الذى دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد، ونزهته العقول الراجحة عن ان يكون له ولد أو يدعى انه الوالد تعالى الملك الرحمن عما يقول المثلث والمشبه والجاحد، ونصلى على سيدنا محمد ورسوله المصطفى الكريم الذى وضحت به للنجاة المذاهب والمقاصد وخرقت له بالظهور المعجزات الباهرة على يديه العوايد ونصر بالرعب فألقى له يد الاستلام كل من كان ينادى ويعاند وعلى آله وصحبه الكرام الذين ازدادت بهم المحاضر والمشاهد ووصلت صوارمهم فى مواقف الحروب السواعد وأنجزت لهم فى استيلاء الإسلام على مشارق الأرض ومغاربها المواعد ونسئل الله عز وجل رضاه عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم الذى جذبه لدين الله تعالى الشباب المعاود وأهلت بهدايته بعد إقفارها المعاهد وباى بالخسران المخاتل لأمره والمكايد وعن الخلفاء الراشدين المهتدين الذين تولى فهم

obeikandl.com

إتمام بدايته الإمام الراشد فالراشد وعلت بهم لأمر الله تعالى المراقى والمصـــاعد وعن سيدنا الأمير الطاهر أبى إبراهيم بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بن ســيدنا الخليفة أمير المؤمنين الذى طابت منه العناصر و المماتد واشتق من نبعه الخلافة من أوراق نضارة وعفناره قنتها المائد، وزهد فى الدنيا الفانية ورغب فى الأخرى الباقية فنعم الراغب الزاهد.

وبعد كتابنا، كتب الله تعالى لنا حظوظاً من رضاه تزكو وتتوفر واستعملنا وإياكم بكل ما تهيأ به لإحراز الفوز لديه ويتيسر من حضرة مراكش حرسها الله تعــالى ودين الله عز وجل عال مسماه ومصعده والتوحيد حال بــالظهور جيــده ومقلــده والسعي معمل فى ابتغاء من الله تعالى موفقه وسدده والحمد لله رب العالمين حمداً يتوالى على الألسنة تكرره وتردده ونستدعى به من مزيد النعماء أفضل ما وعد به تعالى من شكره ويحمده والى هذا يسر الله تعالى بتوفيقه إســعادكم وجعــل فــى طاعته التى تعبد بها خلقه إصداركم وإيرادكم فانه سبقت منا إليكم مراجعات عــن كتبكم المؤثرة الواصلة إلينا وأرسلنا نحوكم من الجواب عنها ما تممنا بــه بــركم ووفينا عرفانكم أنا نوجب لمنصبكم الذى ابرز فى ملتكم علــى المناصــب واقــر لرتبتكم فيه أهل دينكم بالشغوف على ما نر مالهم من المراتب فأنتم عندنا لــذلكم بالتكرمة الخصيلة ملحوظان وبالعناية الجميلة محظوظــون نؤكــد مــن أســباب المواصلة لكم ما حقه ان نؤكد ونجدد من عهود الحفاة يتم مــا شــأنه ان يجــدد ونشكر لكم ما توالى علينا من حسن إيثاركم لجانبنا وتردد وفى سالف هذه الأيــام انصرف عن حضرة الموحدين أعزهم الله البشير الذى كان قد وصل بكتابكم إلينــا انصرافا لم يعده منا فيه بر وإكرام ولم يغبه فيه اعتناء به واهتمام كما انــه فــى المدة التى قضى له فيها لدينا بالمقام لم نزل نتعهده إثناءها بالإحســان والأنعــام وتحمل كتابنا إليكم تعريضاً بما اختار من انصرافه وتوخياً فى ما آثره مــن ذلــك لإسعافه وما قصر له فى حالي مقامه ورحيله ولا عدل به عن خفــى البــر علــى أوضح طرقه والله تعالى يرشد فى كل الأحوال لأذكى الأعمال لديــه وينجــد مــن الأقوال والأفعال على ما يقرب إليه بمنه ومتى سنح لكم أسعدكم الله تعالى بتقــواه

ان توجهوا لها ولاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين أعزهم الله من ترونه برسم ما بصلحهم ويجر بهم على معتاد قوانينهم فتخيروه من أهل العقل الراجح والسمت الحق وممن يستلذ فى النزاهة على واضح السنين وممن يتميز فى الخدمة بالمذهب المستجاد والقصد المستحسن وذلكم هو الذى إذا تعين من قبلكم مستجمعاً للصفات المذكورة متحلياً بالخلال المشكورة حسن فى كل ما يستخدم وتسنى له بذلك اجزل الخبر وأوفره وانتم تفون بهذا المقصود فى ما تعلمون من اختياركم حتى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم لأحد وتعتمدون فيه أجمل معتمد وشكرنا لكم على كل ما تذهبون إليه فى جانبنا من تمشية الأغراض والمذاهب وتحتفلون فيه من المساعدة الصادرة فيكم عن كرم الضرايب وتبادرون الى بذله من المكارمة المناسبة لمالكم فى نحلتكم من أناقة المناصب مما نكافئ به صدق مصادقتكم ونتوخى فيه ما لا يعدل عن موافقتكم جزاء لبركم بأمثاله واعتناء بما يقضى لولائكم بدوامه واتصاله بحول الله تعالى وقوته وهو سبحانه ييسر لنا لنيل الحسنى والزيادة من فضله ويأخذ ما فى ديننا ودنيانا على أقوم سبله ويجعلنا واياكم بما يمنحنا من التوفيق فى أول رعيل من حزب الحق وأهله بمنه وكرمه لا رب سواه وكتب فى الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وستمانة"

"عن الرسالة المحفوظة فى مكتبة الفاتيكان الرسولية بروميه برقم {A.A.1.XVIII(1802)} وهى الوثيقة الوحيدة من نوعها وعصرها التى تحتفظ بها مكتبة الفاتيكان.